CRASC

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

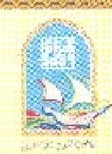
محمد إدريس

المقامات العوالية

و تليها :

رسالة الابرار

باقتراح وتقديم : أحمد أمين دلاي



ردمك : 97[illegible]-28-7

الإيداع القانوني : [illegible]

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية

محمد إدريس

المقامات العوالية في الأخبار العلالية

على اللّغة المغربية

و تليها:

رسالة الابرار

بإقتراح و تقديم :

أحمد أمين دلاي





تــقــديـــم

نشرت "المقامات العوالية" لأول مرة في المجلة الإستشراقية الشهيرة « le Journal asiatique »[1] سنة 1913 و سنة 1914. أما نص " رسالة الأبرار" لقد نشر سنين قبله أي في سنة 1887[2].

و بقيت هذه الأعمال للمؤلف محمد بن علي بن الطاهر الجبّاري البطّيوي[3] قابعة تحت صفحات المجلات و المؤلفات المتخصصة و/أو النافذة. و لأن لم يتوصل إليها إلا المحضوضون من الباحثين في ميدان اللهجات المغاربية و أدبها الشعبي فإنها لم تحض بالاهتمام الجدير بها لدى جمهور متعطش لكل ما أثمرته اللغة الأم من قصص و شعر و غناء و مسرح.

فانطلاقا من هذا، بدا لنا من المنفعة العامة، في إطار مشروعنا لنشر الإنتاج الأدبي باللغة الجزائرية، أن نجعل اليوم، في متناول القراء هاتين المحاولتين المهمّتين — خاصة المقامات — لتأسيس نثر أدبي بلغتنا الوطنية المحلية. بالتأكيد تشكل المقامات العوالية محاولة فريدة من نوعها في تاريخ أدبنا الوطني باللغة الجزائرية الممثل، حتى اليوم، إلاّ بالشعر (الملحون).

فلنرجع إلى سيرة المؤلف لنضيف أنه ولد بمدينة بطّيوة، قرب أرزيو، بولاية وهران، في أوائل سنين الاحتلال الفرنسي، و أنه ينتمي إلى الجبارة، فخذ من قبيلة ذوي ثابت، القاطنة في نواحي مدينة سعيدة.

---

[1] " المقامات العوالية باللغة المغربية "(les séances d’El-Aouali, textes arabes en dialecte maghrébin)، نشر و ترجمة الجنرال ج.فور– بيقي(Faure-Biguet) و ج.دلفان(Delphin)، في الجريدة الأسيوية، سفر 2، السلسلة 11، سبتمبر–أكتوبر 1913، ص.285–310؛ سفر3، السلسلة 11، مارس–أبريل 1914، ص.303–374؛ سفر4، سبتمبر–أكتوبر 1914، ص.307–378.

[2] "حكاية رسالة الأبرار ما وقع لهما بالأسحار"(Récit des aventures de deux étudiants arabes au village nègre d’Oran)، تقديم و ترجمة ج.دلفان، باريس– وهران، 1887، ص.52+ص.35.

[3] يشير ج.دلفان إلى أن اللجنة المكلفة بتثبيت الحالة المدنية للجزائريين أعطت له لقب "إدريس"(المقامة 7، هامش 1).

فبعد الدراسة، انخرط في سلك رجال القضاء حيث عين على التوالي في سعيدة، ثم معسكر، ثم زهانة، قرب وهران، و أخيرا في القليعة، من مدن ولاية الجزائر العاصمة. و توفي فيها قبل الحرب العالمية الأولى.

فانتقاله من زاوية إلى زاوية لطلب العلم، و معاشرته "الطُّلْبَة" و معرفته الواسعة بهم و بثقافتهم الخاصة، زيادة عن شغفه باللغة العربية عامة و اللهجات العربية للغرب الجزائري بالخصوص، أهلّوه لكتابة مثل هذه الصفحات الجميلة، المفعمة بالحيوية.

و لكن بقدر ما تبدو "رسالة الأبرار" قريبة من الأدب الهزلي الخاص بطُلبة المغرب العربي الممثل في "الخطبة الساخرة لعيد الطلبة بالمغرب"[4]، بقدر ما تشكل المقامات نصوص ناضجة الأسلوب مهيأة ليس فقط لتصوير ممارسة لهوية لهيئة عرفية معيّنة كالطلبة و لكن لتعبّر عن ما يسمّيه الجباري "الفصاحة في الأوطان الغربية" أي القريحة الأدبية للجزائريين و قدراتهم الإبداعية.

و هنا ننبه إلى مشكلة هامّة تتعلّق بغياب مثل هذه الأعمال في ساحة النشر. يجب أن نؤكد أن عدم وجودها في المكتبات لا يعني أنها لا وجود لها أصلا. و لعلّ أغلبها لا زال في شكل مخطوط مغمور في بعض الخزائن المجهولة. لقد صرّح دلفان، المدير لمدرسة الجزائر آنذاك، و صديق المؤلف، في مقدمته أن المقامات العوالية لم يفكر الجباري أبدا في نشرها. و لولا إلحاحه عليه و تشجيعه له لما واصل كتابة الإثنتا عشرة مقامة. و مع ذلك كتب لها أن تنشر، و لكن، و للأسف، بعد موته.

لا شك في أن تأثير دلفان على الجباري كان عاملا حاسما في رفع الحواجز النفسية الناجمة عن الرقابة الذاتية التي كادت أن تحول دون نشر هذه النصوص. أكيد أن دلفان، بكونه مختص في علم اللهجات كان مهتما بـ" توسيع دائرة معارفه المعجميّة"، كما ذكر، أكثر مما كان مهتما بإطلاع الناس عن محاولة أدبية لها وقعها الخاص على تصوّرنا لأدب وطني بكل معنى الكلمة.

---

[4] "الخطبة الساخرة لعيد الطلبة بالمغرب"(la khotba burlesque)، في مجموع مذكّرات و نصوص منشورة لشرف المؤتمر 14 للمستشرقين بالجزائر، سنة 1905، بقلم أ.دوتي(Doutté)، بريس، 1905.

إن محمد إدريس، هذا المثقف الذي لم يقطع يوما صلة الرحم التي تربطه بأصوله الجزائرية كان مشغوفا بثقافته الأم و كان له إلمام بكل أطرافها و كان مستيقن من قيمتها.

و هكذا، كيف لا يتألم و لا يشكو من الإهمال الذي أصاب الشعر الملحون في عصره حيث يقول "و لا يخفى أنه في بلاد الغرب كثير من فصحاء الكلام، منهم المؤرّخون و المدّاحون و الراويون، و الشيوخ أرباب التلحين و القوّالون، و أنهم الآن ليست لهم شهرة عند العامّة، و لا عند ناس الشرق و لا المجانبة". و يضيف أنه ألّف مؤلفه هذا ليتصدّى لهذا الإهمال و لكن بأسلوب خفيف لـ "الاستطراب و الابساط" و لعل "قاريها بالنظريّة" "يجد في النهر، ما لا يجده في البحر"[5].

و ربّما لا نجد في بحر الأدب العربي في الجزائر و بالخصوص في نوع المقامة ما نجده في نهر المقامات العوالية، من وصف وفيّ للجزائري في بيئته و بلسانه.

و بدون أن نطيل الكلام عن تاريخ هذا النوع من الأدب العربي ابتداء من بديع الزمان الهمذاني، و الحريري، وصولا إلى اليازجي و المويلهي، و مرورا بالمغاربة كابن محرز الوهراني، لا بد أن نلاحظ أن هذا النوع لم يعرف ازدهارا كبيرا في منطقتنا. فلا يذكر المؤرخ لتاريخ الجزائر الثقافي الأستاذ أبو القاسم سعد الله إلا عددا يسيرا من الأسماء و من المقامات الجديرة بالذكر[6]. و في ضوء ما جاء به في كتابه، يبدو أن المقامات العوالية هي ظاهرة فريدة في أدبنا من حيث العدد المقبول من المقامات و من حيث أسلوبها المتميّز.

و من المثير للاهتمام الكيفية التي حلّ بها المؤلف مسألة اللغة في الأدب المغاربي، و هو لا يتخلص بعد من ثقافته المدرسية. فبالنسبة له، و هو عاجز عن القفز فوق عقبة اللغة العربية المدرسية، إنه يكتب باللغة المغاربية، كما يظهر من خلال العنوان. و لكن لغته المغاربية هذه ليست اللغة العربية و ليست لغة الملحون. و هو الذي يتقن

---

[5] أنظر مقدمة المقامات.

[6] " تاريخ الجزائر الثقافي"، أبوالقاسم سعد الله، سفر 2، ص.206 و سفر 8، ص.145.

الملحون المحلي و له منه شواهد ضمن مقاماته. فمن ناحية لعله اعتبر أن الملحون — و هي اللغة المشتركة بين شعراء المغرب العربي — لا يصلح للنثر بحكم عمق بصمة الشعر فيه[7]. و من ناحية أخرى لعله اعتقد أن اللغة العربية لا تصلح، إذا أردنا أن تعبّر عن الروح المغاربية، إلا بعد أن تخضع لعملية معيّنة.

وصف لنا دلفان هذه العملية في هذه الفقرة حيث قال "أردت أن أركزّ على هذا التوضيح حتى لا يميل المستعربون — الذين سوف يقومون بفحص هذه النصوص — إلى الاعتقاد بأنها مجرد عبارة عن تحريف أرعن للغة العربية، بل بالعكس ليستوعبوا ميزتها الحقيقية و وقعها. إذ أن المؤلف عندما يقتبس من اللغة العربية بعض من آليتها العلمية، فهو غالبا ما يرى في هذا طريقة ملائمة لإدراج، و كأنّها شبكة تطريز يسيرة، المعجم الثري للهجات المحلية المألوفة "[8].

هكذا و بدون أن يغير شيء في التركيبة النحوية للعربية، يقوم المؤلف بـ"جزئرة" المفردات، إذا صح التعبير، نافخا في اللغة العربية قسط وافر من الروح المغاربية.

فهذا هو عكس ما ينتهجه في قصائده الشاعر أبو عثمان سعيد المنداسي، الذي اختصّ في كتابة ما نسمّيه "ملحون النخبة"، والذي لا يغيّر من التراكيب النحوية للغة الملحون و لكنه يقوم بعملية "تعريب" معجمه، تعريب لا يخلو من " تغريب" لأنه كثيرا ما يلجأ إلى المهجور من اللغة العربية.

و بالتالي، فإن الشخصية المركزية هنا ليست شخصية بن عيسى العوالي، كما يظهر، و لكن ما قام الجباري بعرضه على خشبة مسرح المقامات العوالية هي اللغة الجزائرية كما ابتكرها. و هذا ما نريد إبرازه عندما نقول أن هذه المقامات يجب أن تقرءا كنموذج لمحاولة جدّية، حتّى و لو أنها منفردة، لتأسيس نثر أدبي باللغة الجزائرية المحلية، بجانب الشعر الملحون لتكتمل صورة الأدب الوطني الجزائري.

---

[7] يبدو أن الجباري يجهل ذلك النوع من الشعر الملحون المغربي الذي يطلق عليه إسم السوسي المزلوف و هو عبارة عن أقسام نثرية مع شيء من السجع في الأسلوب. أنظر كتابنا " أغاني القصبة"(Chansons de la Casbah).

[8] المقامات العوالية(Les séances d’El-Aouali)، سفر 2، السلسلة 11 ، سبتمبر –أكتوبر 1913 ، ص.288.

هذه التجربة جديرة بالترحاب أوّلا و بالبحث و الدراسة ثانيا و المؤلف جدير بأن نوليه الاهتمام و الاحترام اللائق بأديب جزائري من الطراز الرفيع.

و أخيرا لا نختم هذا التقديم للمقامات العوالية إلاّ بعد أن نؤكد أن هدفنا الوحيد، من وراء حرصنا على إخراج هذه النصوص و تلك الأخرى " جزائرية اللغة و المضمون" من الظلومات إلى النور، هو إثراء التفكير و النقاش في موضوع اللغة الجزائرية و تعبيراتها المكتوبة.

أحمد أمين دلاي

وهران 2007/2/9

كتاب المقامات العواليّة
في الأخبار العلاليّة، على اللّغة المغربيّة

كتاب المقامات العواليّة،
في الأخبار العلاليّة، على اللّغة المغربيّة

يقول عبيد الله القاهر الباري، محمّد بن علي بن الطاهر الجباري، الحمد لله الذي هدانا للهداية، وأرشدنا للإستقامة، و ملك أعنّتنا فقهر، و عفى عن عباده الصالحين و تجاوز عن سيئات من زاغ منها و غفر، تنزّه عن أن يحيط به الوهم والترديد أو يكفيه النظر، و تكفّل بإبساط النعم و تقسيم الأرزاق و إجابة المضطر، أحمده حمدا كثيرا كما استوجب علينا تعظيم شأنه و أمر، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إعزازا لمن أمن و شكر، و أشهد أن سيدنا و نبينا و مولانا محمدا عبده و رسوله الكريم المبر، صلّى الله عليه و سلّم و شرّف و على آله و أصحابه السادات الدرر، صلاة وسلاما دآيمين متلازمين ما اتصلت عين بنظر، اللهمّ إني أعوذ بك من الباطل والطغيان و سوء الظن مع البشر، و أتحصّن بك من مكر خاذع و قول فادع و لسان قاطع ومفتر، واحتفظ بك من كيد النفس والشيطان فإنهم داعيان للشقآ والغرر، ونستغفرك من خطط قدم وفعلة يد و كلام معر، واستوهب منك إجابة الدعا بتوفيق إرشادك المشتهر، و اسبل علينا غطا من ردا جلالك و سترك المستبهر، و احفظنا بحفظك يا دا الجلال و الاكرام يوم لا عثرة تقي و لا ينفع المفر، و لا يلحق بنا تغير، إنك على كل شي قدير، أما بعد فإني لما سيقت بي الاقدار لجولان الاماكن، جعلت استقراري بمدينة بلاد سان لوسيان، فوجدتها ذات قيمة سنية، موجودة بوطن الظليمة، فصرت كمن جلس بين فرشين، و توسّد مخدتين، فشرعت أهوى الخلطة، مع بعض من طلبة نجع الغرابة، و أتقلّب طورا مع بعض من عرش الزمالة، و أخرى أحاكي بها الظهرة و الغابة، و قد طال ما بحثت عن إفادة بعض العلوم، فلم أجد مرشدا عليه و لا من إليه يقوم، حتّى خلت أن شجرة العلم لم يغرس ببلادهم، و نبذة الأدب لم يزرع بترابهم، و استصعب عليّ استجاده، و لم ترم نفسي عدم

استأصاله، فحوقلت حينئذ و ضاق عنّي ذرعا الاتساع، وكفيت الغربة و الكربة صبرا واستطاع، بعد أن كنت أردت الفرار عنها، فلم أر طاقة للانتقال منها، فما لبثت على ذلك إلا قليلا، واما متعضدا صبرا جميلا إذ بي وجدت ابن عيسى العوالي، يتقلّب بالاوصاف و الاحوالي، فمرّة يحضر مع الطلبة في الجنايز، وطورا يقصد خطبة العجايز، وتارة يميل إلى مجالس العلامة، واخرى يحضر مع كبار الجماعة، وساعة يأتي راكبا مع الميعاد، ويتخالا مع الامرا و القياد، و يوما يظهر كأنه موّالا، و في الصيف يجور مدرجلا بمنجله يحسب شوّالا، بيد أنه مع تقلّب أوصافه أنه من عرب البربر قوّالا، فرميت النّظر عليه، وتسببت في الخلطة إليه، و رجعت كما قال الحريري في أقواله، و لله دره و اماله، حيث قال في أبياته (طويل):

فكنت به أجلو همومي و أجتلي *زماني طلق الوجه متلمع الضيا
أرى قربه قربي و مغناه غنية *و رؤيته ريّا و محياه لي حيا

ثم إني امتزجت معه كما يتمزّج الما في اللبن، وانطلقت بدواخله كالحكّة في الجبن، وانجلت عني إزالة الغبن، فلمّا رايت من ارتكام ظلمات الجهل، و انقطاع الأدب بهذه الواسطة على الأصل، تذكّرت ما سمعت عن بعض الثقة والامان، مما قيل فيما غير من الزمان، ان رياسة الرجال الصناديد، من بلاد الشّرق لما وصلوا لهذه الاوطان، وامروا بفتح تلك المدن، بتحزيب أصحاب هذه البلدان، بعد معاركتهم و محاربتهم إيّاهم، أن يدخلوا في الاسلام طوعا، و محبة لاعلاهم، فلمّا عرفوا لذّة لغتنا و فوايدها استعملوها، و مع ان كانوا يبعدونها من قواعدها و عن صافي أصلها واستأصلوها، فقد حصل لها بسبب إدخالها بعض الالفاظ الملحونة، من لغاتهم المختلفة المثبونة، مثل الشلحة والتمزيغية، و التوارقية و الوارقلية، اختلاف عجيب و اتساع، ليس له بمزيد الاشفاع، فبإضافة لغتهم إلى لغتنا لم يتركوا ساير ألفاظ اللسان المضبط، حتى صاروا العلما لا يفهمون لها نمط مرتبط، لا سيما

ناس الشّرق الذين لم يسكنوا هنا، و لم يخالطوا المستعربة من أوطاننا، لأنهم لا يعثرون على هذه الألفاظ في ساير كتوبهم العظام، و لا يخفى أنه في بلاد الغرب كثير من فصحاء الكلام، منهم المؤرّخون و المدّاحون والراويون، و الشّيوخ أرباب التّلحين والقوّالون، و إنهم الآن ليست لهم شهرة عند العامّة، و لا عند ناس الشّرق و لا المجانبة، فلمّا رايت خبو هذا المنهاج، وعجز و ميّن صاحب العلاج، تضجّرت و رمجرت، و تأمّلت و تنمّرت، ثم إني اتبعت الفكرة الهامدة، وامحنت القريحة الهانية، و عزمت لاتياه مرامة، اثنتا عشرة مقامة، أتلو فيها جملة من الالفاظ المستعملة، في ناحية القبلة و الظّهرة، و في نجوع التّل و الصّحرا، عند ناس الديار و اهل الخيام، والبداوي والمدن والقرى والمقام، و للمشايخ و لطلبايهم، واهل الصنايع و فلايحهم، على وسايل واحكام، و أحاجي مغربيّة و أنظام، و مواعظ و ألهية، و وقايع منجلية، مما امليت جميعه على لسان ابن عيسى العوالي، و اسندت روايته إلى امحمّد بن العربي، و أرجو من الله أن تكون تخليصا للفصاحة في الاوطان الغربية، وزبدة لتطريب قاريها بالنّظريّة، و إنّي ألفتها على صفة المقامات، لأنها تفيدنا عن غيرها من المقالات، و لأن سلفي بذلك حايزون التفضيل و الإحسان، و الشّكر الجزيل بلا فخر و لا إمنان، العلاّمة بديع الزمان همذان، و أبو الفتح الإسكندري و أبن هشام، والعلاّمة الحريري و أبوزيد السروجي والحارث بن همّام، فلا جرم أن عذري واضح، و عدم قدري فادح، و إني لا طاقة لي للاستباحة ببحورهم، و لا درجة لي للارتقا لعلو منهاجهم، إلا إنّي مددت إلى الله الأكفاف، و طلبت منه بالتّضرّع العفاف، و إن لا يجعلنا من النّادمين، و لا يوجهنا إلى محضر المحرمين، فهو حفيظ الرعا، و مجيب الدعا، و ما قصدت بهذا المورد الذي استوردته، و الشان الذي استشأنته، إلا الاستطراب و الابساط، للطلبا المنورين واهل النّشاط، و لمن شاء إقصار الدقآيق، فليطالع الرقايق، أو يبادر في النظر، و لعلّه يجد في النهر، ما لا يجده في البحر، و سمّيتها بالمقامات العواليّة، في الأخبار العلاليّة، على اللغة المغربية، و إلى الله استوجه بالنبي الشفيع، أن يحيطنا بحصنه المنيع، فهو نعم الموالي و نعم النصير، و إليه المرجع والمصير.

المقامة الاولى تسمّى الصحراويّة

تتضمن أخبار الشيخ ابن عيسى أنه كان سخارا و جولانه و تلطامه في الصحراء

حكى امحمد بن العربي قال كنت في زمان سعيد الكوكب، و حال نلت فيه المطلب، في اكتساب مال غير متعب، فقسى قلبي عن البرعة، و نفرت نفسي حلاوة القناعة، فكمّست صارميّة و قصدت التّجارة، ناويا للغنا و العمارة، فشرعت أحضر الأسواق، و أشاهد الأرزاق، فلمّا دقت بنّة العصارة، وجدت الرّبح ياخذوه الصحارة، و اختلطت مع رفقة رايمين الاسفار، لنواحي الفيافي والأقفار، فاعهدنا العهود و العدول، و أوجدنا الإبل لحمل الزاد و الحمول، و دخلنا الصحرة بالفضول، فبقينا مدّة نحن نتخيّر في عصا الجلب، و نميّز في اغتنام الفوايد بالغلب، إلى أن سمعنا في يوم خبرا يطيّش النفوس، و يفرّ منه الصابر و العبوس، بأن قيل أن أباعمامة، قد نافق باعلامة، و طاح على الطّرافي بازدحامة، و أخذ اولاد ابراهيم و خوّض الامامة، فلمّا تحقّقنا بهذا العبث، و خشينا الهلاك في اللبث، فافترقت رفقتي قبل النّفث، فمنهم من قصد المنقار الفوقاني، و منهم من وعد المنقار التحتاني، و منهم من توجّه لابي سمغون، و منهم من بقى في العقلة متأملا فيما يكون، فالتفت لمّا سمعت هذه البلية، ودخلت لبلاد المشريّة، فانخزنت فيها كما ينخزن المخوّف، و لبدت كما يلبد المسوّف، فلمّا تطالعت عن أهلها، و تعرّفت بسكّانها، تهمدنت روعتي، و سكنت مهجتي، فبينما أنا في يوم مجمّع حانوت قرداش، و قلبي متفكّر في الأمور فتّاش، إذ رايت زملا من السّخارة قد سرط، و تحيّج إلى فحص البلاد و انخرط، فعلمت أنّه أتى من المغرب، و حصل لي في المظنون أن فيه بعض المغرب، فلمّا احمرّ عنق الحمام، و ازدهرت نجوم الأكمام، دخلت كنفة السخّارة كما يدخل الجوساس، وانا في حالي خآيف من العسّاس، إذ بي جزت على حملين موضعين، و بينهما رجلين متسامرين، فدنوت منهما، لأسمع كلامهما، و إذ برجل يقول لصاحبه، و متصنّع في حوافره، و هو يقول اعلم يا ولدي إنك إذا بليت بنوبة السّخرة، و عنيت لنقطع فيافي الصحرة، فكن صبورا على كيد

الزمان و محنه، ولا تكلّف على نفسك جدّ السّير و نحوه، و لا تجعل دابّتك في أوّل الرّحل و لا في أخره، ثم إنك كن أديبًا مع السّبايس، لتنجى من بعض النجايس، قال الرّاوي فلمّا سمعت ما نفث، وعيت ما بحث، التبست بالتّرديد و الأوهام، و صرت كبلقيس لعرشها في الإستفهام، فعلمت تلك الموضع، و رجعت إلى الموضع، و بتّ طول اللّيلة مقلّب البال، مهوّل الحال، فلمّا أنعمت اللّيلة بصباحها، و شعشعت الشّمس بوزارها، خرجت لأفقد المكان المعلّم، ليبرئ القلب المؤلم، فوجدت شيخنا ابن عيسى قد رقّ جلده، و اصفر لونه، ثم أنّ لحمته هزلت، و لحيته تكشردت، فصفّقت يدي فرحة لنظرتي إليه، وعزمت للتدنّي بالسلام عليه، فسلّم عليّ و أنشد ما حفاه، و تغرغرت بالدّموع عيناه :

لا تعجبن من سخّار إذا رأيته *جور الزمان عليه طال ما اختدم

و صاحب العيال إن عال عيشه *ما يقتضي رأيه و حال حاله فاقتحم

لمّا اولقى بفعله ما يسوءه *ردّ عليه العقل بالندامة فانتدم

ما ذا تقل يا بن العربي فيما نظرته *من وصف شيخ شاق خلاصه وانتهم

قال ابن العربي فلمّا اسلب القلوب بما في البيوت، و أوضح حاله بالنعوت، قلت له طب نفسا و قرّ عينا، فسأخلصك مما أنت فيه بلا منا، ثم إني جبدت الصرّة، و حسبت من الدور عشرة، و قلت له خذ هذه الكموسة، و استوجه بها عند قايد الترموسة، فقبضها من يدي و لالت بشرته، و نشت الحمورة وجهته، و مطمط شواربه و أنشد:

لولاك لجلت الصحرة طرا بأسرها *جزيت عني خيرا يا دو المجد و الكرم

فلاشكرنك ما حييت في المواطن كلّها *و لاذكرنك في محافل العرب و العجم

ثم أنه فزّ كما يفزّ الفرحان، أو المسرّح من أوثاق الأحزان، و جعل يدور كأنه يخمّل في حوايجه، وثرنه يتأمّل كيف يسلك بخدعانه، ثم لفت وجهه إليّ، و قال لي أنظرني و لا تغفل عليّ، فإني أذهب إلى حاكم المحلّة، ليسرّحني من هذه المحنة، و سوف أنقلب إن شاء الله فارحًا إليك، و اعتكف بالنّشاط عليك، و تبسّم في وجهه كما يتبسّم المريب، و تبيْسس بفرّته كما يتبيسس الذيب، ثم قلت لأحد معي أذهب خلفه، لتنظر ما يقع له، فذهب من ورايه ماشيا، و بقيت إياهم مستنيا، إذ بالرسول رجع و بيده ورقة مطويّة مصنع، فقلت له ما وقع، للأصطل المهرقم، فقال لي خذ ما يمرّض القلب و منه ينتقم، فمدّ لي الورقة، و قرأتها بحمقة :

قل للي رسلك يصبر *على محنة الغدر

و هو فمّه يهذر *و اعيونه تقترف

فبن عيسى سافر *في الدّهمة و فر

و خلاك امغير *و امحان الغربة تترادف

قال ابن العربي فلمّا قرأت البيتين، و حققت الصنفين، صرت كمن اشترى الهمّ بالدرهم، و ضيع الرفقة و انعدم.

المقامة الثّانية تسمّى الكرموسية

تتضمّن وسواسة ابن عيسى و طمعه واختلاف وعده و مدح التين بلأشعار

أخبرني امحمد بن العربي قال كنت في يوم ذهبت لأشاهد سوق المدينة، و أقضي مأرب الخيمة، و أزاول الغبينة، و كانت لي بلغة طلاعها مفتوق، و انقابها مخروق، فقصدت وقتئذ ذمّيًا ركّابا، باخفته صوابا، و هو يمهر و يعقعق، في نعلة على حجرة يتسرّق، فبينما أتكلّم مع الذّمّي ليدور بالبلغة و يجدّد طلعها، و يرقع طرفها و نعلها، إذ رأيت شيخنا ابن عيسى طالعًا مع الواد، مهدونًا في مشيه كأنّه من أهل الرغاد، فلقيته ماشيًا بالحفى، و طرت عليه من القفى، فلمّا سلّمت عليه و سألته عن أحواله، و كيف حاله من امتحاله، زفر زفرة المفترق، و كاد من الغيظ يختنق، فقلت له لا أحزن الله قلبك، و لا انجح همتك، ما هو محالك و امتحانك، فقال ما رايت ما اقول لك الا ما وقع بي من العلمآ، الذين هم ظلمآ، و قد قيل ان ما يدخل النّار ماية ظالما، حتّى يدخلها ماية عالما، ثم انه جبد عقدا من جيبه، و ضرب به علي و قال اقرا ما مكتوب عليه، فناولت المكتوب و فتحته واذا المكتوب عليه، نصّه بالمَحكَمة الشّرعية بشريعة اولاد بن عوالي ذي القسم الخامس من عمالة الظليمة لدى قاضيها المتولي فصل خصوماتها و هو الفقيه السيد محمد قبيح الفعل اغناه الله و عدوله امّدهم الله بعونه أمين حضر لدينا الشّايب المقشتل[9] المستدغم ذو البرنوس الأصفر المتفر[10] و القمجة المفلوقة المهدوعة[11] هو السيد الحبيب بن عيسى المسنّ بخمسة و خمسين سنة القاطن بدوّار اولاد بن عوالي و ادعى على مقابله و هو الكهل المكر السيد ابلاحة بن عبد الرحمان المسن باربعة و ثلاثين سنة القاطن بدوّار عرايبة فمن دعوى الاول و هو السيد الحبيب بن عيسى المذكور انه قال

---

[9] المقشتل هو الغليظ الخشين طويل القامة و غليظ القوايم.

[10] البرنوس المتفر هو البرنوس الي جلاله قصير و اجنحتاه طوال و كيلبسه مولاه يكون قصير عليه من ورايه و طويل من قدّامه و يقولوا فيه متفر و الي يلبس البرنوس المتفر عار عند العرب.

[11] القمجة المهدوعة هي الي فتقت خياطتها و تمزقت و يقولوا انهدعت.

كنت اتيت بالامس إلى فلاج سان لوسيان لانظر ما يفتح الله لي فبينما أجول في الفلاج اذ بي التقيت مع سي ابلاحة بن عبد الرحمان المذكور فسلّمت عليه و سألته عن حاله و صرت اتمشى معه في زقاق الفلاج حتّى اهوينا إلى حجرة[12] منجرة كبيرة كاينة حذو الساقية الجارية مقابلة لسوق الفلاج و مرقبة على طريق الحديد الذاهبة من تليلات الى ابي العباس فجلسنا عليها و صرنا نتحدّث في انواع الكلام اذ بالسيد بلاحة المذكور قال لي يا سيدي الحبيب الم تعلم ما صنعت انا في هذا الصباح فقلت لا علم لي اعلمني يا حبيبي ما ذا فقال لي انا ذهبت بكرة الى جناني فلمّا دخلته وجدت كرومه معنقرة بالتين الطايبة الملوية عسلها هاطل منها، و ناموسها حايط بها[13]، وجدتها كما قال الشّاعر في مدحه:

غلة الكرامس تعجبني * فايقة على كل نعايم

اذا التوت في الغصن الداني * للبليع سهلة القايم

يقطر عسلها حقّاني * كالدموع من خشية نادم

---

[12] حجرة منجرة ما كانت هذه الحجرة و ما تصلح: هذه الحجرة منجرة مربعة موضوعة على خزنة ماء موجودة بين طريق الحديد و الطريق المنجورة الكاينة بين تليلات و ابي العباس مسامية الطريقة الكبيرة المشهورة بفلاج سان لوسيان و قريب هذه الحجرة ساقية ماء جارية تنشط الي جمع على الحجرة و هي مقابلة الحانة يعني التبرنة متاع لابروا و على ما يقولوا على ابن العربي هو قال حدثنا ابو محمد الطيبي عن ابن خودة الصباحي عن ابن عمر البطيوي عن صاحبه العكروطي عن الاعماش عن ابي محمد الشيباني انه قال كنت يوم من الايام جالس على الحجرة المنجرة اذ بطفلة عاتقة اصبنولية اسمها طريزه ببيكة خادمة في التبرنة المقابلة للحجرة وعدت للساقية الي قرب الحجرة باش تغسل مواعن لها في الساقية و منين مربعت لتغسل مواعنها تصيبني جالس على الحجرة وانا صامت نخمّم قالت لي واشتَ تخمم فيه قلت لها ايا ببيكة انا راني نحدث مع نفسي و نقول لوكان عندي كثير المال نجعل لك قصر في بلادك مدريد تسكني فيه فصل الربيع و نبني لك قصر في باريس تسكني فيه فصل الصيف و قصر في الجزاير تسكني فيه فصل الخريف و القصر الرابع لفصل الشتا ما نعرفش اش من موضع احسن نجعلك فيه ايا ببيكة قولي اش من بلد؟ قال تبسمت لهذا الكلام و ڤالت يا الهدّار لوكان عندك ما قلته لي لوكان ما جيت شي مزلوط لحتّى تجمع على هذه الحجرة تطيب اترامك و افخاضك و ما تولّي شي تتكلّم معي هكذا، و من بعد قامت و ولّت متبخترة و خلتني يابس على الحجرة و صبت كلامها هو الصواب و ما عرفت شي ما نقول.

[13] ناموسها حايط بها يعني الناموس حايط بكروم التين و هذا الناموس يخرج من الذكّار الي يعلّقوه في الكرم و لولا الذكّار بزرعه ما تصلح شي التين غير تسقط من كرومها.

فصرت اجول فى الجنان والتقط الكرامس و اكل ثم التقط و اجعل في غراستي[14] حتّى شبعت وامليت الغراسة ثم اني التقطت كرموسة و صرت انظر اليها و اقول في بالي ان من يعطيني صولديا للحبّة ابيعها فقلت في نفسي والله اني لا ابيع حبّة و لو بستّة افلاس و فلّقت الحبّة و اكلتها قال الحبيب بن عيسى لمّا سمعت منه ذلك طاش عقلي و سالت ريوقي و انفتحت عيوني ثمّ طرقت براسي الى الأرض و قلت في نفسي إني أتيت إلى الفلاج لأنظر ما يفتح الله لي فهذا هو الفتح المبين ثمّ رفعت رأسي و قلت له يا حبيبي و يا قرّة عيني ألا تهب لي شيا أو تصدّق عليَّ بشي ممّا أفاء الله عليك و تذهب بي إلى جنانك لأخرّف شيًا من التّين و أتي بشي في غراستي إلى بنت سعد زوجتي فقال لي حبا و كرامة غدا إن شاء الله صباحا أت بغراستك و اجلس على هذه الحجرة حتّى اقدم عندك ثمّ نذهب سوا للجنان فلمّا سمعت منه ذلك الإقبال اطمأن حالي و شكرته و قلت له تالله إنك لمن العرب الاقدمين ثم انصرفنا على ذلك الوعد من غير خلاف فلمّا اصبح الصباح أتيت بغراستي حتّى وصلت الحجرة المعلومة و جلست عليها و صرت أراقب الطريق التي من جهته و مهما أتى أحد بالطريق أقول هذا هو فإذا ليس به فلم نجد خبرًا، و لا أثرًا، و لا عثرًا، حتّى خلت أنّ الأرض ابتلعته، أم الجنّ اختطفه، فلمّا جاز وقته، و خاب وعده، أخذتني الإلهاب، و أتتني الجلباب[15]، و غلب الاياس الطمع، وامتنع الرجى وانقطع، فصرت كمن ضيع اللبن في الصيف، و لم أر سي ابلاحة في الحيف[16]، فحينئذ تأهوت و تكسّلت، ثمّ تأسّفت و حوقلت، و استرجعت و لكن حين جاز الوعد والوقت تنفّست الصعدا، و أوددت أن أبكي و أبكّي البعدا، و قمت أقدم أراذلي، و أسحب ذلالي، و لبست ثوب الهمّ في الحين، على خلاف وعد التّين، و رجعت من حيث أتيت، إلى وكري منفليت، فلمّا وصلت خيمتي، و علقت غراستي، اتكلت في الرحل، و سرحت رجلي في الرمل، فإذا

---

[14] غراستي : هي الي يديروها موالين الجنان باش يحملوا فيها الخريف كالتين و العنب و غيره و يصنعوها من الكلخة و عيدان الضرو و كيفية التركيب يقسموا الكلخة عيدان مستويين و بعد يشقّوها انصاف انصاف و يديروا عيدان من ضرو محصورين بشرطان كبحال الدارة و يشبّكوا الكلخة على العيدان و تصبح غراسة.

[15] الجلباب: هي الرعدة تكون مرض مع الحمّة و الياعوذ بالله منها.

[16] في الحيف: هي ساعة المعركة في القتال.

ببنت سعد دخلت عليَّ و قالت لي يا تالي الرجال، يا عاقب المنال، ما وقع لك في هذا اليوم، فسكت عنها و بقيت متغيّر الحال، متشطّن البال، و بتّ أراقب النجوم، و أقاسي الهموم، و أحببت أن تلك كانت كلمح البصر أو أقرب فلمّا أصبح الصّباح، و أبهى الضّو و لاح، قمت مستعجلاً، و ها أنا أتيت بمجلس الحكم طالب العقوبة لمقابلي و الا فالحقّ أحقّ يتبع فعند ذلك هشّ[17] الشّيخ القاضي لكلامه و قال له يا شيخ الحنجارة[18]، يا زاملة[19] العيب و العارة، ألم تعلم أن الطّمع معيبة، و الطّلبة معيرة، فقال له يا سيدي تالله لو أكلت ممّا وصف لي و لو تينة، لكنت شفيت من تسعة و تسعين علّة، فقال له القاضي أتعتقد الشّفا في التّين، و أنت من أهل اليقين، فقال بلى، و هل يخفى عليك المبتلى، فعند ذلك هانت من الشّيخ القاضي لفتة إلى مقابله و قال له ما لك الجواب على كلام مقابلك فتقدّم السّيد ابلاحة المذكور بالقيام، ثمّ تنحنح مستفتحًا للكلام، و قال فوالّذي جعلك مفتاحًا للحقّ، و فتاحًا بين الخلق، فإنّي لا أعرّف لك إلاّ ما وقع، من اقتباس ما سطع، و هو إنّي كنت أوعدته كما قال صحيحًا و لمّا فارقته رجعت إلى وكري، و صرت متذكّرًا في أحوالي و أمري، و افتكرت بأنّي أوعدت سي الحبيب بن عيسى لأذهب به إلى جناني و إنّي أعلم أنّ له مدّة شدقم[20] و بلعة أسد و غراسته واسعة كصناج دجاج، أو شبكة مراج[21]، و إن أوصلته إلى جناني يفترسه حالا و يتركه كمن نزلت به محلّة، أو جازت عليه سحابة، فخلفت وعده و منعت سعيه و أقبلت خطية الحكم المقتبس، و لا سخيت بجناني يفترس، فهذا هو الواقع فأحكم بيننا بما أراد الله، و لا تخفي ما أمر به رسول الإلاه، فحينئذ ردّ الشيخ القاضي كريم علمه، في الدّعوة و أوعاه، و نظر في كلام الحبيب بن عيسى و وجده

---

[17] هشّ: بمعنى سمع و صغى.

[18] شيخ الحنجارة: هو ذكر الدجاج و هو الديك على خاطر مشغول سوى بما يملي حنجارته و الحنجارة هي في عنق الطير بين صدره و قرجومه يجمع فيها الحبوب الي يلقطها من الارض.

[19] الزاملة: هي الزايلة و الا الحمل الي على الزايلة.

[20] الشدقم: هو البعير من الابل و لا يخفى بالي الجمل اذا مدّ عنقه باش ياكل الحاجة البعيدة تولّي قريبة على خاطر عنقه طويل.

[21] شبكة مراج: يعني صاحب مروج و مفردها مرجة هو محل ينحجر الماء و حولها كثير القطا و الحجل و الشبكة هي الي يصنعوها من خيطان مشتبكة يصطادوا بها الحيتان في البحر و الطيور في المروج.

عدم شرط الهبة و لم يجز حالا و اطّلع على قول الشّيخ خليل في باب الهبة والعطية و الصدقة عند قوله و إن بلا إذن إلخ ثم نظر في قول مقابله السيد ابلاحة المذكور و وجده رجع في هبته و أطلع على قول الشّيخ خليل المذكور عند قوله أو وهب لمودع و لم يقبل لموته إلخ و وجد كلا منهما استوجب التّأذيب أمّا السّيّد الحبيب المذكور إنّه تطبّع بالطّبع القبيح و كسران الوقر[22] على همّته و ذلك لا يسوغ له و أمّا السيد ابلاحة فإنّه خشية أن يتّصف بالبخل أمر على كلا منهما أمّا السّيّد الحبيب بن عيسى يجلد على بطنه بمشحاط زيتون غلظه كالخنصر و طوله شبران و مفصلان و يجلد من يد طالب يكون سنّه أكثر من إحدى و عشرين سنة بعدد ما مضت من الأيام من السنة العجمية من يوم التاريخ و الضرب يكون متوسّطا على بطنه مرتفقا و ذلك أن يرفع المشحاط بينه و بين بطنه قدر دراعين مالكية[23] فقط ثمّ ينزل عليه بخفّة متوسّطة و أمّا السّيد بلاحة المذكور فإنّه ملتزم بخطية و هي زردة للطلبا كالعرب والعادة * حكمًا تامًّا لازمًا ما أشهد به و أمضاه و أمر الحكم بمقتضاه و أمر جميع الولاّت المتصرفين بتنفيذ هذا الحكم بتاريخ ٢٣ من شوال عام ١٣٠٥ موافقا 3 جوليت سنة 1888 و كتبه عبد ربّه أحمد بالهاشمي بالشيخ * و عبد ربّه أبو القاسم بن اعمر * صحّ ما فيه وبه عبد ربّه محمد قبيح الفعل أغناه الله و لطف به أمين * قال المخبر بهذه الحكاية لمّا أتممت قرائة العقد، المحكوم بالشّد و الجد، قلت له و لم ذلك مع فصح لسانك، و ترتيب كلامك، تنهّد و قال يا ولدي ألم تعلم بأنّ الرّشوة[24] عبدة، والدراهم زبدة، و أن كبشا سمينا عند الطلبة أفضل من سبعين خطبة، و للّه در النّاطق بنظمه الفايق:

[22] كسران الوقر : يعني قلّة الحيا و الوقر الحرمة و العرب عندهم كبير السن و الحاكم يحشموا منه و يوقّروه و يحارموه و اذا خالفوا يقولوا كسران الوقر عليه يخفض همته.

[23] ذراعين مالكية: الذراع هو ما كان في طوله شبرين و كل شبر عرضه عشرة اصابع و كل صبع عرضه سبع حبات من الشعير و كل حبة عرضها سبع شعرات من شعرات البرذون و هو العود الغليظ.

[24] الرشوة: ما يرتشي به الحاكم على الحكم و هي معلومة.

المرو الـي شفتـه قتّالا * و ما تغلبـه ما تطيق عليه

عبّد لـه لـو كان غير إسالا * اطعم كرشه يستحوا عينيه

ثمّ أخذ العقد و هرولا، و تركنـي في السّوق مهولا.

المقامة الثالثة تسمّى الدوايريّة

تتضمّن رحلة ابن عيسى و عدّه للدواير السبعة و تذكّره و تأسّفه و ضحكه و بكايه

حدثنا امحمد بن العربي قال كنت في فصل الربيع، لمّا ذهب عنا البرد و الزيع، طلعت إلى دوار اولاد بن عوالي، الساكنين من الاحوالي، فلمّا وصلت ساحتهم، و دخلت مراحهم، عجت إلى شريعتهم، لاجلس مع طلبتهم، فوجدت ستارها مشرّع، و حصيرها مربّع، فجلست بعد ما سلمت، واستأنست بعد ما أمنت، في موضع راقبة الاماكن، باهية المحاسن، و نحن ننظر إلى النبات الاخضر، و هو يلمع في نظر البصر، و الكلام بين الطلبة ينهدر، قال ابن العربي فبينما نحن في انواع الحديث، متمازجين في الحثيث، إذ طلع علينا شخص من نحية الاقصارى، و اجنة كرموس النصارى، عليه هيأة المهموم، و بلغته محزومة بعقاد من الدوم، فصرنا من بعيد ننظر إليه، و هو يقرب نحونا بخطو قدميه، و نحن بين تعريفه و تنكيره و نتأمّل من أي الشُعب شُعبيه، فلمّا دنى منّا وتسامط ساحتنا، عرفناه انّه علاّمتنا ابن عيسى، مضيّع بيض الحجلة في الديسى، فقمنا إجلالا له، متباشرين لاطلاله، فسلّمنا عليه و ادخلناه، و في احسن المواضع اجلسناه، و سالناه عن حاله، فحمد الله و اثنى عليه، و صلّى على سيدنا محمد صلّى الله عليه و سلّم و على اله، و صارت ينابيع الحكمة تفجر من فمه، قال له احد من الطلبة فمن أي موضع اتيت يا شيخنا، حتّى الفيت علينا، فقال اتيت من اهلي، الذين هم في قطع الواد القبلي، فقال له الطالب من اين ناسك، و من هو اصلك، فقال له ابن عيسى اتجهل اصلي يا طالب ربّ العالمين، فقال له الطالب نعم انك من الاقدمين، فغار الشيخ في الضحك حتّى بانت له ضرسة العقل، ثمّ طرق براسه الى الارض ساعة و هو يتامّل، و رفع عينيه الى السما و لم يقل قل، ثمّ انه قام و جلس، و كوّش وجهه و عبّس، و قال دونك ايّها الطالب رحلتي، ان شيئت تعلم المواضع التي نزلتهم بخيمتي، و شرع يزهزم راسه، و يحكّ طرفه، و يقول العراييّة، و العمايميّة، و السعايديّة، و السهايليّة، و الشرايطيّة، و الجلايليّة، و اولاد بن

عوالي الله يلعنهم، الله يلعنهم، الله يلعنهم، و الله الحمد، ثم صمت ساعة و هو ينظر الى الطلبة يمينا و شمالا، و يتطنّب سرّا و استعلالا، ثمّ رمى جمرتيه اليّ، و ردّ كلاحه عليّ، و قال لي يا ابن العربي، أعلمت بما اقتضاه مأربي، فقلت له ان نطلبك ان تشرح لنا ما خرجته، و من خزنتك جبدته، منتتَه علينا، و ان نسكت عليك لم نجد من علمك شيا لدينا، فبعبع كما يبعبع الكبش الحايل، و تنهّد كما يتنهّد صاحب الحمل المايل، ثمّ تأسّف كما يتأسّف المحموم، و غاب عن حاله كأنه يشرب كأسا من الروم، و تقهقر متتحنحا للكلام مؤهِلا، و شرع يشرح ما ذكره مفصّلا، فقال امّا نسبتي الى دوار العرايبيّة فقد كنت في عام اليبسة سكنتهم بخيمتي، و حصلت طول السنة على ضنك عيشتي، و كنت تارة ارعى الدواب، و تارة اقصد الاحباب، و امّا نسبتي الى دوار العمايميّة فقد قمت فيهم درويشا، و لازمت عندهم خربيشا، و كنت ادردق على الارض مع الزاهدين، و اهتزّ في حلقة الراكضين، فلمّا طلعت ضماتهم، تركت سبيلهم، و دخلت زمرة الطلبا، و احسن همّة ادبا، وامّا نسبتي الى دوار السعايدية فكنت عاشرت كبيرهم الحاج غوال، و قاسيت معه جملة الاهوال، حتّى وصلت غلّة الافوال، وانتقلت من عندهم بعد ما خسرت الاموال، و امّا نسبتي الى دوار السهايليّة فصاحبت فيهم ابن الكمشة، وكنت لا افارق رحله من الزمان رمشة، فلمّا طال الحال، و خاب التأمل، وجدت لسانه رطيب، و في خصاله معيب، و هو معتكف على مشط لحيتيْه، و تبرّم شلاغميْه، فانسللت منه كما ينسل الخلال، وتركت خلطته و ما تحدّث لي ببال، و امّا نسبتي الى دوار الشرايطيّة، فكنت فيهم مع عبد القادر اشرايّط، و هو على النهار في الكذب يخيّط، و لقضا حوايجه مفرّط، فانطلقت من عنده و تركته مفليَط، و امّا نسبتي الى دوار الجلايليّة فقد نزلتهم و صرت فيهم فلاّحا، و لكسب البقر والغنم صبّاحا، و كثر عندي اللبن حتّى صارت شكوتي تقول في ذي مخضها، على لسان حالها، ذات بهجة، ذات بهجة، ذات بهجة، و كان ولد انتقّر جاري، عنده معزات و عجاري، و كان عنده من اللبن قليل و شكيوته تقول عند ذي مخضها، على لسان حالها، قَوَارِرًا، قواررا، قواررا، و رجعت ذا برنوس زغداني، و حايك اسكندراني، فبينما انا في هذه

الحالة شديد، و كوكبي في الفلك سعيد، اذ في ليلة دخلوا عليّ السرّاق، و نهبوا رزقي بالاتفاق، فاصبحت خيمتي ماسية كالرمس، ممسية كأن لم تغن بالامس، فساقتني القدرة الى دوار اولاد بن عوالي، فتقدّر فيه همّي و تهجالي، و صار من الفقرا حالي، فحينئذ تغرغرت عيناه بالدموع، و غشى عليه حتّى خشينا عليه الرجوع، فلمّا راينا حاله حال الغريق، و احمرّ بصره من الرميق، قلنا لاحد من الطلبة اذهب الى خيمتكم، و أت بشيء من طعامكم، فغاب الطالب قليلا ثمّ اتى بجفنة طعام، و طرحها في وسط الازدحام، فتقدّم الشيخ ابن عيسى و مسح عيناه، و صار يلقّم يملا فاه، و عرض على ما كان عليه و نساه، فلمّا شبع، و بالمآ اقتنع، قام و تكسّل كما يتكسّل الغول، و ذهب و ترك الطلبة في احال المنوال.

المقامة الرابعة تسمّى التمتاميّة

تضمّن خبر ابن عيسى ان إبنه جالس في حجره و خشي عليه انه مات
و هو حيّ و فتنته مع الجماعة

حدثنا محمد بن العربي قال كنت في وقت صاحي النهار, بعد صبّ كثير الامطار، و الارض راوية للتجرار، قبلت رجاعا لخمّاسي، و هو يحرث في بلادنا قرب الحاسي، فأخدت و ذهبت لا نظره واحرّضه للخدمة واشتدده، فلما وصلته وجدته تابعا للزوايل مشمّرا، و للمطاير زارعا ومحمّرا، فبينما أنظر إليه وألقي الكلام عليه، إذ براوية حمير، وحولهم عدة بعير، ومعهم رجال ونسا، وارشية للاستقا، فذهبت نحوهم لاملي قلّتي، و اورد عودتي، فلمّا وصلتهم سألتهم عن اخبار الدوار، وما زاد وما نقص وما صار، فما برح احدهم اذ قال لي ان الناس كلهم بخير، في حال الصحّة و تطراح الغير، الا إنما تركنا الجماعة في المراح، دايرين بالشيخ ابن عيسى و بينهم نزاح، بمجرّد ما سمعت منه ركبت عودتي، وانطلقت الى الدوار بسرعتي، لاحضر محضر ابن عيسى، وانظر ما يقع في تلك الجليسى، فسرت الى ان وصلت المقصود، والمحل الذي هو عندي محمود، فلمّا قربت الجماعة رايت ابن عيسى مطوّقا عنقه، ومشتحا مناخره، وهو يخلّل لحيته بأصابعيه، ويحكّ أطرافه بمناكبيه، فسلّمت بعد ما وصلت، والى الشيخ ابن عيسى تقدّمت، فمددت يدي إليه وصافحته، و جلست في موضع مقابله، بينما نحن في انواع الكلام جائلون، وللامور المهمّات متذاكرون، اذ بولد صغير قدم، وعلى الشيخ ابن عيسى سلّم، فأجلسه الشيخ في حجره وحطّ رأسه إليه، وشرع يتمتم عليه، فقال أحد من الطلبة أتقرأ على ابنك، ام تذكر عليه عزيمتها، فطرق الشيخ ساعة، ثم قام صامتا، و حوقل و لوله، وعبس وهلهله، و قال أعلموا يا شمايل الطلبة، ان جماعتكم هذه نحيسة، و إنني في فكرة مبلية حسيسة، و إني تمثل لي ان ابني مات، و إني نقرأ عليه السورات، فضحك كل من الطلبة مليا، و تمثّل لهم بشرا سويا، فحينئذ صفق يديه واشتد غضبه، ومسكت القهقرة كرشه، و نظر الى الاول

الفقيه الاكمل، السيد محمد بالاحول، وقال له انت امرط، و وجهك ممسوح مفرط، فاطلب من يعير لك لحيتك ولا تفرط، ثم غمز الى الثاني، فاهم المعاني، السيد الحبيب بالمداني قال له انت طويل مثل العرعارة، و أمّك محنية كيف التارة، ودائما تطحن الجرجارة، والتفت للثالث، شبيه النعمان بن الحارث، السيد الجيلالي بن العابث، وقال له انت هرنان، وخدمك تقطع الفرنان، و لحيتك كيف المارِكان، ثمّ هجم الى الرابع و قال له انت ممسوس، و وجهك مهسوس، و في مشيتك غير اتكوس، ثمّ أقبل الى الخامس صاحب الهمة و الملابس، السيد عبد القادر بن العانس، وقال له انت في نفسك تجهد وتبند، كي جاج الهند، ولخدمة الله لا تعبد، ثم رجع الى السادس معمر المجالس، احمد بن الفارس، وقال له انت هلهال، ولسانك صلصال، و على الكذب تحتال، ثم اهتز الى السابع، صاحب المدح الشايع، السيد قدور السايع، وقال له ما لك و وجهك هكذا، و حالك مهذا، منكمش مثل الفدا، فعند هذا قام احد من الطلبة ومسك عصاه، و اراد ان عمّده بضربة على قفاه، وقاموا جميع الطلبا، وداروا عليه دارة، و ارادوا استرساله للمعارة، قال ابن العربي فلما رايت ان الشيخ ابن عيسى قد حل به الغضب، ونزل به سخط الرب، قمت بينهم عن عجل و طلبت التهدين، و اطفيت نار الترنين، وسلكته منهم بلطافة كالشعرة من العجين، فأخذني بيدي وادخلني عشّه، واجلسني فرشه، وقبلني و جلس فقلت له يا ابن عيسى قبلتني وسكت، و فعلت فعلتك التي فعلت، اعلم بأن سمع بك وبفعلك قبيح الفعل، ياخذك على التوال، وان استخبر بك ابن الشيخ، يشقّك كما يشقّ البطيخ، و ان وصل خبرك الى الشيخ ابلاحة، يعلقك مثل الملاحة، فحينئذ تنفّس الصعدا، وكاد يبكي و يبكّي البعدا، و قال لي ما هو السلاك، و أي ملجا يجيرني من السلاك، فقلت له حرّض أمرك، و افد نفسك، قال لي ان اتيتهم بعتروس كبير مثلي، ولحيته طويلة كلحيتي، وشحمه فايض كشحمي، فقلت له نعم، وضف إليه سويق القمح والسمن ما يتم، و بشرط ان تأتي به الى الشريعة، وتوقّفه قبال الطلبة، وتساميه وتبلبل، وتدردق برجلك وتهلهل، وتطلب السماح و تعلل، وقال لي السمع والطاعة، ولا بدّ من هذه العبارة، فقلت له فاعزم لئلا يرتاب

المبطلون، ويظنوا بك بالظنون، فقمنا و انطلق الى الغابة، و رجعت في حالي للشريعة، فما لبث الى ان جا بعتروس كبير القامة كقامته، مهدهد الشعر و طويل اللحية كلحيته، فقرب الى ان وصل للشريعة، و وقف أمام الطلبة، وقبض لحية عتروسه و بلبل، وركض برجليه وهلهل، و طلب السماحة و علّل، فقمت و اخبرت الطلبة بما وقع، لمنفعتهم اندفع، فاتّفقوا واصطلحوا بينهم، ورفضوا ما صدر منه ومنهم، ثم إنهم دبحوا العتروس، واستراحوا النفوس، و بت ليلتي ثاويا على الضيافات، و أكل الطيّبات، حتى طلع الغرّار، و انسللت منه انسلال الفرار، و تركت الشيخ ابن عيسى يهول كالعيهار، و ركبت على عودتي امّ الامهار، و رجعت لخيمتي سالما من الغبار، قبل ان تتاورى البيضا وتنطلق عين المعيار.

المقامة الخامسة تسمى الزهوانية

تضمن سفر الشيخ ابن عيسى لبلاد وهران واطلاقه مع الهوى

و مدح المحاسن بالاشعار

حدثنا محمد بن العربي قال كنت في سنة صالحة، التقيت بصابة فالحة، فلما اتممت حصادها، وخزنت منالها، وادخرت ما يكفي في غنايمها، و حمدت الله على اتمام نعايمها، حدت لي بان ابيع الفرينة، في بلاد الرينة، فكرزت عدة من الغراير، ورفدت بالحمول على البعاير، وتجهّزت للسفر وسقت إبلي، واستصحبت مع رفقة من أهلي، لهم في المعاشرة والموافقة انتجاب وافتخار، و في الشجاعة وشدّة البأس يماثلون العيهار، و في الحيا والجود كأنّهم من الاخيار، فسرنا في فاكه واقتران، قاصدين مدينة وهران، الى ان وصلنا البلاد، ودخلنا ها بدلايل و أرشاد، فلما انتهيت المقصود، وقبضت المعدود، سرّحت رفقتي و اودعتهم للرجوع، بعد ما قمت لهم مؤنة النفوع، وانقلبت للمدينة المعلومة، ناويا لاقامة قريبة ممنونة، فبينما أجول بين زنق ادروبها، واتفيا ظلها وخلالها وانعومها، فوجدتها ذات أسواق عجيبة عامرة، ومخازن كثيرة السلع والبضع مصلوبة نافذة، و رأيت فيها ما لا يحصى من الاخلاط، وقد اجتمعت فيها من جميع الارهاط، حتى استوجب مدحها بهذه البيت :

فوهران البهجا ارتقت و صارت * على المحاسن احتوت و فاقت

إذ بي انتظمت مع رفقة رايمين النشاط، ورايدين الانفلاط، فعجبنا لهذا الغيوان، الى قرية الهايج بباب تلمسان، فوجدناها ماسية الصفوف، ضاربة الكفوف، فصرنا سايل و مسول، الى ان وصلنا جبل الغول، فدخلنا في سماط قويم، ذي حرج عميم، و موايد من الرخام صميم، ومدام كأنه سيل العرِم، فلما خرجنا من مكنونه، وخلّصنا مثمونه، ضربنا ريح الرجوع، وما فينا من يتذّكر الخشوع، فطلبنا مركب النفوسه، و ركبناها بالقطيفة، ثم اننا

تشاورنا و تأملنا التدبير، بأن ننزل باستدارة الامير، فلما وصلناه، وحللنا ساحتاه، وجدناه ذا نخل نضيد وشجر، وامياه زلال[25] تنهمر[26]، ثم خططنا الاقدام، بلطافة من الاهوام، لنحية استدارة الجماعة من فايج[27]، و ارتقبنا على البحر الهايج، فاشتاقت قلوبنا للتحواس بساحله، وشرب المدام بجانبه، فاخذنا مركبا و جزنا على السقّالين، قاصدين حمام السلاطين، فلما انتهينا الى قصوره، واخذنا بيتا من بيوته، درنا على الجماعة بابساط الكلام، واستحضر جملة من انواع المدام، اذ سمعنا صوت غريب النهيق، في موضع مستوحشة العمارة بالرقيق، والامواج هايجة لها زفير وشهيق، قال ابن العربي فقلت لاصحابي ألا تسامحوني لانظر من هو الناطق، في هذا المحل الشايق، فقالوا لي افعل ما بدا لك، فلا تجد فينا من يشهد ملامك، فانطلقت هابطا مع مريرة رقيقة الجر، الى اسفل ساحل البحر، فبينما احاي المخاتل بين الاصخار، وانختل بين كراكر[28] من الاحجار، فما كذبت اذ رايت علاّمتنا ابن عيسى العوالي بين جزيرتان، و حوله قراب عليه حوتتان، و بيده قصبة طويلة وسنارتان[29]، وهو يقتنص صيد الحيتان، ويترنّم استنباط الشعر بالميزان، فبادرت لالتقايه، مبادرة الغريق لنجاته، فسلّمت عليه و عانقته معانقة اللام للالف، وحييته محية السالف و الخالف، و قلت له ما شانك بهذا المكان، وما هو حالك في صرف الزمان، فقال اني اتيت لازور مقام أيوب، واغتسل فيه من الذنوب، واحذرا لما يتوقّع من العيوب، فقلت له خوّص الله قرنك[30]، و صحّ سنّك و نيابك، و يطول حبلك[31]، ألك في الصعود عندنا، لننتظر الجماعة وتجلس معنا، فتبسّم و قال نعم، ألم اعص امرك او الم

---

[25] زلال يعني صافي و الا نقي او طاهر.

[26] تنهمر يعني تجري و الا تسيح.

[27] الفايج يعني الجهة.

[28] الكراكر جمع كركار و هي العرمة من الحجر المجتمعة.

[29] سنارتان تثنية سنارة يصنعوها من الهند كالابرة المعكفة يقتنصوا بها صيد الحوت.

[30] خوّص الله قرنك يعني طوّل عمرك على خاطر الفرد و هو ذكر البقر كطالت حياته تخوّصت قرناه على راسه و مثّل الشيخ ابن عيسى كالعجمي.

[31] و طوّل حبلك و مصرانك: الحبل هنا مراده حبل كرشه كما قال في مدح الفسيو حيث قال سبعة ابغال رافدة رشات اقفاه و سبعة ابغال رافدة حبل كرشه، و ابن العربي دعى لابن عيسى ان يبلغ حبل كرشه و مصرانه كالفسيو و هو اصغر الطيور و احقرهم ببلادنا.

اهم، ثم انه تعضّد عصاه، وعلق قرابة على يمناه، وقال لي اسرع بالصعود، و سيكون الهنا والسعود، فلمّا اهوينا الاعلي، ودخلنا بيت الانهالي، قلت للجماعة هذا شيخنا ابن عيسى العوالي، فقاموا اجلالا له، و بالمبادرة عينوا اجلاسه، فلما استوى على كرسيه، و جعل الطابلة بين يديه، قال الحمد لله الذي جعل الملاقة بسبب الانطاق، وجمّع اللمّة في شرايف الاطباق[32]، فحينئذ عرض عليه أحد الاول من الجماعة وقال له ألك في شرب الاماط، قال لا ولا احضر محضر العياط، ثم لامحه الثاني و قال له ألك في شرب الشاتروز، قال لا و من أي طريق اليه أجوز، ثم غامز الثالث و قال له ألك في شرب الفين، قال لا ولا بصحبة ألفين، فعند ذلك أخذت بالكاس، و أشرت اليه بالخمس، و قلت له ألا تفاجي الهمّة، و تشرب قدحا من الخضرة، قال نعم و بنت مريم، حلوتها بير زمزم، فامليت الكاس وناولته اليه، فقبضه من يدي وانشد عليه:

شوف لصهيبة في الكاس * صافية الزلال تحاكيه

من يدوقها يرجع وسواس * قاطعة بالسم ابوكيه

خلطها بالبلار اجناس زيّ واحد مشبوكة فيه

فلما تجرّع الكاس الاول والثاني، تغرغرت عيناه بالتداني، ثم لفت وجهه في البيت، وقال اه اه[33] اليت و اليت[34]، ثم تأسف و عبس، و دواخل قلبه مؤيس و انبسط و تنفّس، و انشد على خليلته المنعس:

---

[32] الاطباق جمع طبقة و هي طبقة القصر كما ذكر في كتاب رسالة الابرار ما وقع لهما بالاسحار عند قوله :
جعلت فيه ثقبة كالطاق * كثقبة الخيان في الاطباق

[33] آه آه كلمة مكررة و هي تأسّف و توضّع.

[34] اليت اليت هي كلمة مكررة للتمنّي و للترجّي و المراد هنا للتمنّي المنقطع و لا بقى له الترجي بدليل قوله وداخل قلبه مؤيسة و الايس هو قطع الترجي و بقى الطمع فيما كان يريده في الماضي.

عشيق بات بهذه المقامي * بمحبوبة مفرطة الاشفاق

بتطريب و الطيب المدامي * و لم يقض وطرا منها بساق

فيا حسرة لمّا افترقا صباحا * فوالله ان في الفراقي المشاق

فيا معشر الاحباب باللّه جودوا * و ادعوا للمعشوق يهون العشاق

فلمّا تمّ أبياته وبيّن وصفه انعمته، تنهّد كما يتنهّد الهكول[35]، وتلوّن كما يتلوّن الغول، وهو ينظر الينا ويتأمّل في القول، فقلنا له اكشف لنا السراير، واوضح لنا ابراز الضماير، فما فينا من يحلّ عقده، ولا من يفهم نكته، قال لنا امهلوا بالسوال، فعند المثل يصح المقال، حكاية قال علامتنا ابن عيسى العوالي، عشيق ماء الدوالي[36]، كنت في زمان شبابي انفه، وكان حرصي حلفه[37]، هوت نفسي الى احدى النسوة، و تبعتها اعواما عدّة و قصوة، فلمّا وجدنا غفلة الافاقي، و عزم التلاقي، أتيت بها الى هذا المكان، الذي نحن فيه الآن، فبتنا متجاوبين متطالبين، و حال منجردين و منفردين، فمنعت نفسها منّي، و لم ترم استلقاها عنّي، وتلك الليلة كان أوّلها عندي كعسل الشهدة، وآخرها كان لي كعسل الزندة[38]، فلمّا اصبح الصباح، افترقنا كافتراق السفاح، فعند هذا تغامزت الدارة عليه وارادوا تكذيبه، و استشعروا ضعف خبره وتخويره[39] قال لهم مالكم اتخذتم قولي خبثا، وفعلي عبثا، كلاّ و الله لقد توقّفت في الغرايب اكثر مما ذكرت و إني لصادق في جميع ما قصصت، ألا إني طالما والله احافظ عن اباحة السرّ، واتجنب عن المخالطة التي يجب منها المفرّ، و تالله قد صدق الزعطوط عند مخاطبته لابنه، حيث قال في التنبيه، الخلطة تردي، والجرب يعدي، يا زعطوط يا ولدي، وسوف أبيّن لكم صدق قولي، و سأكشف لكم الغطا عن فعلي، و

---

[35] الهكول هو الاكول.

[36] ماء الدوالي هو عصير العنب و هو الخمر او المدام يحرم شربها للمسلمين.

[37] الحلفة هو وصف الحال يالخضرة لان الحلفة خضراء.

[38] الزندة هي القربة و عسل الزندة هو القطران و يقولوا فيه العرب عسل القربة.

[39] تخويره: التخوير هو الكلام الذي لا فايدة فيه و هو اللغوى.

اطالعكم على ما لا تعلمون، و لا أظن أنكم تعملون، و قام و قال قوموا و اهبطوا معي، وانظروا لما تجدون في روضتي و مرتعي، قال ابن العربي فهبطنا في اتباعه، الى ان وصلنا البحر وامواجه، فهوى بنا الى موضع منكزة الوصول، شايقة[40] السهول، فما لبثنا اذ وصلنا بيتا خفية المكان، حسينة المنزل و البنيان، فتقدّم ابن عيسى و فتح باب المقام، و قال ادخلوها بسلام، فلمّا دخلنا البيت وجدنا على البساط إمرأة، قد فرغت في قالب الجمال كأنها قمرة، وبين يديها مايدة عليها مشموم و شمعة، وعدّة من قروع الخمر ملتمة، وهي تلاعب العود، وتتلاها بالنشود، فلما راينا هذا لعب الحسد عن قلوبنا، وتحقّقنا أنه في النشاط أحسن منّا، ثم كلّمها العوالي، و قال لها يا بنيتي مالك لا تبالي، اعلمي ان السر اذا باح، فهو من علامة سخط الفتاح، قومي و اعزمي للطيران، واعلمي ان بقية الفريق تنهان، فقامت بأدب كالحمامة، ودرجت درج الامامة، فلم يك الاّ كلمح البصر او هو اقرب، اذ جمعت شغلها واعولت للمهب، واصحبت ابن عيسى، وفرقانا بلا تخليسى[41]، الى على الجبل اخذوا مركبا وانصرفوا، ولم ادر اين صكعوا وهدفوا، وتركونا كمن وجدوا كنزا وضيّعوه، او ضربوا صيدا فمنعوه، فلم اكايد في الغربة، كهذه الكربة، وافترقنا وكلامنا ساحب ذيل الخجل، على ما رأينا في هذا المحل.

---

[40] شايقة: صعيبة غير ساهلة.

[41] بلا تخليسى أي بلا حجر و لا سترة.

المقامة السادسة تسمّى الوعدانية

تتضمن اخبار الشيخ ابن عيسى بوعدة الزمالة و صحبته للجمّالة
و تفسير الأحاجي المودوعة في هذه المقامة

اخبر امحمد بن العربي قال كنت يوما بسوق الثلاثة، لافاضي مأرب العيالة، فبينما ادور بين غاش معرعر، وكثرة من الأكباش و تبعرر، إذ سمعت برّاحا يقول، يا معشر الناس اسمعوا لما أقول، ان وعدة الزمالة، تكون يوم الخميس القابل بلا امتحالة، فهشر له سمعي، وحدّث لي ان أعود مع نجعي، ففصّلت كتّانا و خيّطت، واشتريت صابونا وصبّنت، وطعنت السيل و تنظّفت، و لمّا قرب المعتاد، واجتمع المعياد، وذهبنا الى ان وصلنا الملعب، بعد ان قطعنا مسافة متعب، فوجدنا فساطيط واخبية كثيرة مطرصى، وخلقا من بني ادم ما لا يحصى، فقصدنا منهم ڤيطون القايد، ونزلنا فيه كالعادة والعوايد، فصرنا ننظر لما يظهر، ونتأمل فيما يحضر، إذ طلع من صدر البرّية زمل مريْزم، و غاش مهيْلم، فلمّا زال ضهبه و قرب، ونحن ننظر اليه بعين ملهّب، رأيناه محتويا على احجاف عجيبة واكفال، وحولهم فرسان مهيئة و رجال، و في وسطهم شيخ قد كبرت عمامته، واصفّرت دربالته، و تكشردت لحيته، وتفاقت شحمته، وبلغت في الغلظ لحبته، وهو راكب على ثلب كأنه قبّون من نباغ، و السايق به ڤُبّان من بني صباغ، وهو يشلوح بذراعيه، وينشد على القوم من قوافيه:

آرعاين الخيل انقسموا بجهات * غزر البارود يزيّن المشالي
ارواحُ من الملعب و انطحوا الجحفات * وانتبهوا لا تذوش من اوالي
شدّ رسان الخيل بالسرعات * و السّمعوا لِما قال بن عوالي

قال ابن العربي، فقلت لاصحابي، من هو الزمل الجايز، في اجتهاد لعبه فايز، ومن هو الشاعر، في هذا الوطن الناغر، فقالوا لي اما الزمل فمن نجع الغرابة وامّا الشاعر فإبن عيسى العوالي صاحب النوالة، فلمّا سمعت ذلك تشوّش قلبي لالتقائه، كما يفرّ الطير لنجاته، فهنيت رفيقتي عن خبر وتبعته، لانظر اين ينزل مع دوحته، فاتلفته في وسط الغاشي، ولم اجده من كثرة الماجي والماشي، و كان ذلك الوقت اخر النهار، وقد قرب الاصفرار، فحرت لوحدانه، كما يحير الطالب لامتحانه، فصرت افلي عليه القواطن و القهاوي، وكل الحلقة اجتمعت على مدّاح أو عيساوي، و لا وجدت من يرشدني إليه، و لا من يخبرني عليه، حتّى استدل جناح الليل و ازدهر بنجومه، و شعشع البدر بضوئه و نوره، خشيت في نفسي عدم استلقايه، وغلب الاياس الطمع لاتوايه، فعجت الى قرب اخبية محرمين، من اهالي ناس مكرمين، و بساحتهم بنات يلعبون، وبايدهن يصفقون، وبارجلهن يركلون، وامامهن شيخ يأمرهن الفعل، ويصف لهن صفة صفق اليد والرجل، وكأنه يعلمهن الربط والحل، فاشتملت نحوهن، لاعرف من هو الممتزج معهن، فلمّا دنوت تحقّقت بالسمع نغمة ابن عيسى، وخشيت عليه انه ضربته تفليسى، ثمّ اني افتقهت، ولافعاله افتكرت، وعلمت ان ذلك حيلة من حياله، و انه ناصب للاقتناص شبكته وحباله، فاختفيت في مكان قربه، لاحصل ما يبث علمه، فلمّا تمّوا البنات اللعبة، وزولوا على قلبه الغلبة، قال لهن يا معشر البنات اتردن ان اخرفكن، أم تحبن ان القي عليكن المشكلات، و احاجيكن فقالوا له البنات أت ما عندك من المشكلات، قال ابن العربي فعند هذا تنحنح، وسرّح حلقه من المبحبح، وتطنّب وعزّا بصلته، وامّهات البنات ترقب عليه من كل فاهف خلفه، و قبض على الاولى منهن وقال لها يا من لها سمايما رقيقة، ما تقولي ان قال لك المحاجي للُّوا[42] في الحفيرة، ثم نقر الثانية و قال لها يا من لها نعوت المدح كأمّها، ماذا تماثل انحل احزامها، افترقوا اعضامها[43]، ثم هزّ الثالثة و قال لها يا صاحبة الكيد و العناد، ما تقولي

---

[42] للُّوا في حفيرة فهي النار القليلة أي نويرة.
[43] انحل احزامها افترقوا اعظامها فهي حزمة الحطب لان حزمة الحطب لما ينحل الحبل الحازم لها يفترقوا عيدانها.

للذي حاجاك فولتين زرعوا بلاد[44]، ثم لفت للرابعة و قال لها يا من فاقت في حسنها الاواه، ما تقولي لمن قال لك راه راه، والعلام وراه[45]، ثم نامس الخامسة و قال لها يا من لها قلب صافي من الغش، ماذا يصاوب ان قيل لك الارش، ارحى فوق ارحى وهي ما تطحنش، راسها راس اللفعة وهي ما تقرسش[46]، ثم لامح السادسة و قال لها يا بالغة الاوصاف بيضة و حمرا، ما جوابك للذي دعاك يا خضرا، يا حرّار يا مرّار يا مقطوع من شجرة، ضلّ يسيح في الاوطان خلّى جرته حمرا، منه تركب الفرسان و منه تلبس الشهرة[47]، ثم دكّ للسابعة بجانبه و قال لها يا صاحبة المجد و المنايا، ما ذا يماثل ان قلت لك في معنايا، تسمّى بسين ما هي سلسلة ما هي سكين ما هي من احروك البنايا، فكّها و الاّ نوضي من حذايا[48]، ثم قام و قال يا جمع البنات اني معنتكن و ميزتكن، وان شئتوا ان ازيدكن فحاجيتكن، و لو ما هما ما جئتكن[49]، وكأنه اراد الذهاب، و يتركهن بالانتهاب، فاعتلقوا به البنات، كاعتلاق الدابة بالدلمات، وقالوا له لا نسرحوك الاّ إذا عرّيت ما غطّيت، و كشفت ما غمّيت، قال بشرط ان تعوّضوا لي ما منّيت، فارسلوا بعضهن ليجمعوا له، و يفرضوا له ما وجب عليهن من ماله، فما لبثوا ان اتوا بصرّة فيها جملة دنانير وبيدهن رزمة فيها ثياب من كتّان و حرير، فلمّا قبض المعهود، و نجز المقصود، شرح لهن ما طلبوه، واوضح لهن ما جهلوه، واودعهن وسرحوه، فحينئذ قمت من موضعي ولقيته، و قلبي متزاحف مما رايته، وقلت له ما هذا الفعل، يا منجوس، يا من لا مثل لك في الجنوس، اتطمع في النسا و تترك الرؤوس، فتأوّه و خنقته عبرة وانشد و دموعه غمرة:

يا ابن العربي يا حبيبي * لا تلومني فيما مرّ
ان الدهر نحس بيدي * وصيّر عيشتى مرّة

---

[44] فولتين زرعوا بلاد فهما العينان لانهما ينظران البلد.
[45] راه راه و العلام وراه فهو اليربوع و كعلته طويلة و رقيقة سوه راسها فيها شي من الشعر.
[46] ارحى فوق ارحى الخ فهو الفكرون و يقال له بلغة العرب السلحفة راسه كاللفعة و جلفتاه كالرحى.
[47] يا حرار يا مرار يا مقطوع من الشجرة الخ فهو المضمد المعد للحراثة و يقال فيه ايضا المحراث.
[48] تسمّى بسين ما هي سلسلة ما هي سكين ما هي من احروك البنايا هي الساعة.
[49] لوما هما ما جئتكن فهما الرجلان و يقال ايضا الكرعان و المعنى لولا رجليّ ما وصلت اليكن.

واني تركت بنت سعدي * في خيمتها وقفرا

لا لها مما يشيد الجعدي * الا المناصب في الحفرة

و اني رايت اهل الوقت * فلم احد لهم بجرّة

ما فيهم الا الحسد والبغض * و بدلوا بالخير شرا

و اني ضربت عنهم صفحا * و دحضتهم بالجزع فرا

و لذا الى النسا ملت * نلت ما يسدّ فقرا

لولا الاضطرار ما فعلت * و ان عدت فاكوني بجمرة

قال ابن العربي فلمّا تمّ ابياته، و بين حاله واعذاره، صفحته بالسلام، و تحييته بالاكرام، فاخذ بيدي و انصرفنا الى ڤيطون خفيّ المكان، مهذن البساط بحسن و أمان، فبتنا تلك الليلة في طرب حديث، ونشر حثيث، الى ان اصبح الصباح، و تمّت الوعدة بعافية بحفظ الواحد الفتاح، فتوقّع الهجيج، وافترق الهجيج، و فاعت كل طريق بالمجيج، و اختلط الفارس و الترّاس و النهيج، ولا تسمع الاّ صياح و ضجيج، فافترقت مع علاّمتنا ابن عيسى وانا رايم لاجتماعه، و اوددت ان تلك الوعدة كانت عاما باهلاله.

المقامة السابعة تسمّى الاخياخية

تتضمّن ألفاظ و نكت خرجت من كرش الشيخ الحبيب بن عيسى

و جوابه عن مكتوب المحبّة

حدثنا امحمد بن العربي قال كنت حضرت جمع الطلبا، وهم في شريعتهم غربا، وكانت عشية ليلة الحجوز، وكانوا مدخرين لها مخلطا من بلوط و لوز، و قشرة و قوقاو وجوز، و هم معتكفون على كبش يشوى، و ملفوف يلوى، و قد بلغنا ان ابن عيسى العوالي، ادركه خبر نشّطه على التوالي، فتناهينا الراي و ارسلنا له فارسا مستعجلا، لياتي به في الحين مغلغلا، فلم يك الاّ كمن سقى ماء وتوضّى، و جفّت اعضاؤه و صلّى مفرضى، اذ بابن عيسى اقبل علينا يهندز[50]، و صاحبنا من ورائه يحنطز، فعجلنا لانزاله، و افرغنا الموضع لاجلاسه، فلمّا ربّع بتفّاله في متفولته، و نفّر بخنفورته، طفقت الطلبة بدفع المأكول إليه، و الحلقة دايرة عليه و هو يتكاهن بلسانه، و يظهر الحلاوة لكلامه، ولما هنشر النوعيْن، و كدّد اعظام الجنبيْن[51]، مسح يده على كشرودته[52]، و برم بشلغومته، و قال يا معشر الأدبا، و يا نجول النقبا، اعلموا ان حبيبا منورا، بعث لي مكتوبا مطمبرا، فكان هو السبب لانفلاطي، و تحريكا للعلوم المنخرطة في مسراطي، فلمّا هاجت سطوة علومي، و طابت ثمرة كرومي، اتقنت له جوابا يشفي الصدور، ويبري الاكمة و الابرص وينفي الشرور، اهل لكم جفان وخوابي، لتدخروا فيهم فوائد جوابي، فقلنا له نعم، ولأجل ذلك نلت ما كنت تلتقم، فعند ذلك اشار بقلبوزته الى احد الطلبة كان يعرفه خطّاطا، و له خفّة في الكتابة شطّاطا، وقال له اقرب يا كُبَيّش عوالي، اودع الله فيك سرّا غالي، وخد الادات و اكتب الجواب، والله الموفق للصواب، قال الراوي فلم يك الاّ قدار ما قام القندوز و انثنى، على

---

[50] يهندز: التهنديز هي مشية متوسّطة اقل من الجري الخفيف و اكثر من السيرة المهمدنة يهندز او يهرول.

[51] اعظام الجنبيْن هما الضلوع الموجودة في كرش الشاة.

[52] كشرودته بمعنى لحيته و انها مثل الدومة و القديمة المحروقة و يبقى اثرهم فيقال فيهم مكشردين فلحيته مكشردة كذاه.

ركبتيه حذو الشيخ وانسنى، فقال له ابن عيسى اشرع يا ولدي في تسقيم الورقية، و اكتب الحمد لله و التصلية، و قل مكتوب المحبة و انوارها، في افتتاح السنة و ازدهارها، فالله يبارك لنا لياليها و ايامها، و ان يجعل لنا تيسيرا و فتحا من مغانمها واكرامها، و يحيطنا بالحاف ستره الجميل في جميع سواعيها و اوقاتها، بجاه سيدنا محمد صلّى الله عليه و سلّم مالك الجنان و مفاتحها، المتنزه في اسافحها واسافلها واعلاها، اذا طاب الماء فهو من طيب رمله، و زكى الفروع ذلك من عمدة أصله، بأبه اقتدى إدريس[53] في الكرم، و قد شباه أباه فما اظلم، آخاي آخاي[54] يا عزيزي يا سيدي إدريس، تالله لقد ارتقيت لمنهاج الاداريس، فالمحبة لمحبتك خايضة تحت القدم، و اوجب لك المدح في العرب و العجم، فلمثل محبتك فليعمل العاملون، ولخلطة امثالك فليرغب الراغبون، كتبت لي يا أخ على ورقة الطامبر، المارّة بين يدي الحكّام العلما الجمهار، أيها النبيه، الحبر النزيه، الامثل الافضل، الاحفل الاكمل، الانبل الاجمل، انك من بيت علم و صيانة، و نزاهة و أمانة، و بركة و خير، وقرى و مير، و منصب كريم، و حسب صميم، لا سيما العقل والأدب، فتنسل اليه من كل حدب، حتّى انه كان لهجتك، و ربيع حواشيك و مهجتك، و قد خيّلت اليّ انك القرنيّ أويس، أو الأمير دبيس، نعم المحب ان مكتوبك الابسط لما اورده الحمّال اليّ، و اتصل استصماره لديّ، اعراني وافحاني ثم بعد افتتاحه وانتظاره اعجبني و اطربني، و ازهاني و اسرّني، فاتممت قرأته و القلب متمالا بالسرور، و قد زال عنه الكظم و الكدر واحتمالات الامور، فاضربت عنه الكفّ بالكفّ، واوددت استبشاره بالشفّ، و احفظته داخلا مخباعي، و رايدا به انتفاعي، فعجبت به الى قوم يزعمون المحبة، و داعيين بينهم المودّة، فاحضرت المكتوب و اطلعتهم إيّاه، و قلت لهم أوصل أحدكم لمثل هذا أو راه، فصمتوا كلّهم بالانتهاب، و قالوا ان هذا الشي عجاب، فسألوني بالرغبة عن

[53] إدريس هو لقب المؤلف.

[54] آخايْ آخايْ كلمة مكررة تعجّبا تقال عند رأية الشي الحسن كقول العرب عند رأيهم لما يحسن بخ بخ ود هذا الشيخ المذكور له عمامة كبيرة و لحية كثيفة و دربالته ثقيلة و كرشه محتويّة على علوم لها رنة كتزنزين النحل او كتهرهير السيل و انه لما يراى حاجة او يسمع كلمة تبسّطه يزهزم راسه بعمامته و يميل وجهه و يقول اخايْ اخاي.

صنيع هذا، بديع الوبادة الوفاذا، فقلت لهم و هل يخفى عنكم أدبا المعسكريّين، الذين هم بلغوا في المزية اشرف عليّين، فعلموا انها صنيعة بديعة فاقت، لم يأت بها أحد غيرك في السلف الفايت، و شهدوا لك انك من الطلبا الاقدمين المستفخركطاواصلين، الحاصل لمّا نتلاقوا نجعلوا شرحا على هذا المكتوب الغريب، الذي لم يخترعه بعيد ولا قريب، و امّا السلام و ابرازه وتوابعه، فإني بعثت لك منه صحبة الحمّارين خمسة و سبعين ماية ألف شواري خذ منهم ما يكفيك و الباقي قسّمه على الطلبا جميعا و مكّن الى السي الاخضر القلمي شواري غير وحده و إذا خصّه زده ما يقنع ويسكت و السلام، فلمّا فرغ من كلامه هجّال الهجاجيل[55]، الشيخ ابن عيسى مطوّع الشقاليل[56]، قال له جمعة الطلبا سايلين، ما معنى لفضك المستفخركطا واصلين، لسنا من خيل هذا الميدان، ولا لنا بحلّ هذه العقد يدان، فافض علينا لبابك، و اشرح لنا هذه النكتة التي خرّجتها من عبابك، فقد عرفنا دوحتك واستطلعنا شعبتك، فتبسّم كما يتبسم الهريت، و تخازر كما يتخازر العفريت، وتكلّم مجاوبا في سرعة من الكبريت، و قال ان هذا الطالب الذي فعل هذه الصنيعة لما احسنني و اردت مدحه بلا تطويل الكلام فطولت مدحه معنى واختصرت لفظا فقلت هذا الطالب من المستفخر كطا وصلين فقولي فالمستفخر أي من المستفخرين والكاف أي من الاكرمين والطا أي من الطيّبين والواو من الواصلين فهذا معنى قولي فصار يفيّش عليهم، و يتخازر فيهم، فكرشه في الترعاد، و فمّه في الترداد، و يقول لهم ألا يحسنكم هذا العلم الذي يخرج من كرشي، أتطيقون ان تستوعبوا حكمي وافشي، فقالوا له دعنا من بحرك الذي لا

---

[55] هجّال الهجاجيل: الهجّال هو الذي طلّق زوجته او ماتت امرأته و بقى وحده هجّالا فلمّا تطول مدته و لم يتزوّج فيضرب به المثل يقال فيه هجّال الهجاجيل.

[56] مطوّع الشقاليل : الشقاليل اسم دوار و منهم دوار الرواونة و يحكى ان الطلبا دهبوا لدوار الشقاليل قاصدين رجلا اسمه محمد الاشهب ليطلبوا منه شاة و كان كثير الغنم و طلبوه، بخلهم و ارجعهم خايبين و لمّا وصلوا الى شريعتهم اتى لهم ابن عيسى و اخبروه بما وقع لهم فحينئذ قام ابن عيسى و عرّى راسه و نتف لحيته و دعى على محمد الاشهب ليصيبه اليه في غنمه، ففي الغد من ذلك اليوم اتفق لراعي غنم محمد الاشهب انه اتى سايق الغنم قرب طريق الحديد و لمّا اراد ان يقطعها اتى بابور النار بعجلة فالتقى مع الغنم و صار يقتل فيها حتى قتل منها ستة عشر شاة و زد ان الحكّام خطوا الاشهب المذكور بستين دورو عقوبة فبعد ذلك شاع بوهران ابن عيسى و طاعوا له الشقاليل و غيرهم اجارنا الله من مكر هذا الشيخ العفريت و لهذا ضرب به المثل.

يغضغضه ولا يخوّضه المخوّض و لو بعمود، و لا يبلغ مدحه المدّاح و لو يملي أذن فار و سبعة جرود، وانصرف يهرول، و غدرهم صفة المولول[57].

[57] المَوَلْوَل هو الذي يكون في عقله خفيفا كالبهلول.

المقامة الثامنة تسمّى المعسكرية

تتضمن تخمار ابن عيسى بالحال واستدارة حلقة الدراويش عليه

و هو مغشى

روى امحمد بن العربي قال كنت في السنة اليابسة، زحافا من الزايلة، فقصدت من يبيع المجادر، بسوق ام العساكر، فلمّا حللت مساحتها، و دخلت مدينتها، كان ذلك وقت الاصفرار، و احتياج اهل الحوانيت للفرار، فصرت أمشي في العرقوب، منتظرا لما يحدث من عالم الغيوب، وقد كنت وقتئذ في البلاد غريب، ليس لي فيها قريب، وقد قرب وقت الظلام، وكاد القلب ان يرتكب الاهوام، و قد حرْت في المبات فلم ادر أاوعد مسجدا و اكتمش، ام ادخل قهوة وارتمش، ثم إني تذّكرت ان ولي المجامع، مانع الرقاد في الجوامع، و امّا القهاوي، فمجلبة للمصائب و الدعاوي، ثم اني وجبت عني المكتب، بأن اصلّي المغرب، فملت الى حويطة فيها ناس مساكين، ظاهرين من حالهم محاسين، فلمّا اتممنا الصلاة، و اعقبناها بالباقيات الصالحات، وقف علينا رجل لابس جلابة، مزرقطة الوالبة، فسلّم على الجلاّس، وقال يا أيّها الناس، ألا تحضروا وعدة مبروكة، و زيارة مقبولة , فقالوا له ففي أي مكان وجودها، و من اين المقصد اليها، فقال انها قرية مغراوة، بزاوية درقاوة، فقالوا له سر اعرض غيرنا، و سننطلق وحدنا، فقاموا باجمعهم، و قبضوا الطريق خلفهم، فحدثتني نفسي بأن اخوض مع الخائضين، واقصد مع القاصدين، فلمّا وصلنا الى المكان المشار عليه، و أتينا المقصود اليه، وجدنا زاوية واسعة الاركان، عالية البنيان، ضاوية بنور الشمعدان، و فيها حلقة من الفقرا يركضون، كأنهم الى نصب يوفضون، و في وسطهم قشتيل، يهتزّ كأنه برميل، و يرمي بشرر ثقيل، فقلت لمن خلفي سائل، من هو هذا الشيخ الكامل، فقال لي هذا شيخ أتى من المغرب الاقصى، و قد ظهر كريم قصّى، فقلت الله يبركنا بملقاه، و ان يجعلنا في حماه، ثمّ التزيت عند سارية، في ركنة من الزواية، و قد بقوا على ذلك حينا طويلا، وهم يهزّون هزّا وجيلا، اذ بالشيخ طاح مغشيا، و تبعته الحلقة

بانقطاع الحسّ نفيسا، وبربروا الشيخ بدربال، وشرع كل واحد منهم مشغول ببال، فمنهم من يلمّ عمامته على رأسه، ومنهم من مسح عرقه من جبهته، و مهنهم من يصعد الى السما بأنفاسه، ثم انهم بعد ذلك دفعوا الطعام، و اجتمعت الالمام، فلمّا شبعوا و رفعت الايادي، و ارتفعت الافارغ و الاقادي، فرّشوا حول الشيخ المبربر، حايكا من صنعة الغرب منمّر، و قام عند راسه أحد كأنه خديمه، صفة أو تلميذه، وتحلحل و قال هلمّوا ايّها العباد، هذا سوق ما له نفاد، فمن زيّن نيّته، نوّر سريرته، و من خاب ظنّه، ضيّع سعيه، و هذا شيخنا الكبير، خليفة السيد الأمير، فمن تعلّق بأذياله، نال جميع تنجاله، و من أراد إصلاح أموره، فليبادر بما في مكتوبه، فما رأيت الاّ من وقف قبالته، و أجاب دعوته، ثم انهم افرغوا عليه بالفرق و المقفول، حتّى حصل ما يعمر عين المعلول، فلمّا رأيت سوق الربح قد حما، وانفتحت على كل من زار غما، حنّ قلبي للزيارة، عسى ان تكون لي خيارة، فاعمدت الى كيسي، و جبدت دورو من حرّ نفيسي، و لحت به فالقارة، و اخذت فاتحة منارة، فلمّا كلّت الزيار من الأوّلين الى الأخرين، وختم المفتح بولا الضالّين، تقدّم المقدّم، و جمع المسلهم، و قال بارك الله فيكم، واثبت مساعيكم فلم يبق من بعد الفاتحة، الاّ التسريحة، ثمّ ان الغاشي تفيع، و الماشي تشيع، بقيت أنا آخر الناس، ناويا للمبات في الجلاس، فلمّا ما بقي سوى الشيخ و أصحابه، هلمم معهم و رفع عن عمامته، فقربت اليهم لاستفيد حكمتهم، فصرت احقّق النظر في الشيخ بتوسّم الامالي، إذ هو علاّمتنا ابن عيسى العوالي، فعلمت ان الليلة ليلة ختل و مكر، و شبكة خدع ونكر، فلمّا نظرني خفّ بالقيام اليّ، وتباشر بالسلام عليّ، فسلّمت عليه وعظّمت سلامه، و اجلسني في موضع حذاه، وانبسطنا في الحديث، و حلينا في الحثيث، ثمّ اني ذنوت الى جانبه، و خاليته في أذنه، و قلت له ان زيارتي في هذه الليلة ليست بزيارة، و انما هي تزميرة، و يا ليتني لي بتّ بدُورُيَ في الدار الكبيرة، فصخك حتّى تقهقه، و نظر اليّ و تبختر و مهمه، و احمرّ وجهه و تنهنه، و قال لك عنّي، و اسمع منّي، الحمد لله مولانا الأمين، و الشكر له على نعمة اليقين، فالنصر منه و الفتح المبين، لا تندمنّ يا حبيب القلب والعين، احسنت ظنك

بالمولى المعين، فالحاجة تقضى والفواتح مقبلين، فاحمد الله وكن من الشاكرين، فقلت له اللهمّ اجعلنا من المهتدين، و ان يجعلنا من عباده المؤمنين، و بتنا على الثانة، طول الليلة، فلمّا انشق خيط الفجر، صلّينا ركعات الأجر، ثمّ خرج ابن عيسى كالهوش، و قال لي يا ابن العربي اتبعني في هذا الدردوش، قبل ان تفتح عين المغشوش، فطلقت عناني حوله، وسرت ملاصقا كتفه، ثمّ سألني قايلا ما لك في الاضمار، ما اتيت تقضي في هذا السوق المعمار، قلت له اردت ان اشتري مجدار او كيدار، فقال اتبعني في هذه الطريق، و على الله التوفيق، فانطلقنا الى ان وصلنا فندقا، و دخلنا الى قرب طبلة من الخيل عتقا، و قال لي خذ هذا العود، فإنه هدوه لي اهل الطود، واني اهبه لك على الابود، ثمّ اخرج لي سرجا و عمارة، و جلالا و مشبارة، فاسرجنا العود وشدّ لي الركاب، و تمشى معي حتّى جزنا الباب، و ختم لي بدعا الالباب، و ودّعني و انقلب راجعا، وسافرت وحدي قانعا، وهبطت ديل السلوقي و انا متأمل في حاله و محاله، فلم اعلم أ أذمه لخبث اعماله و افعاله، أم امدحه لمزيته و اعطافه.

المقامة التاسعة تسمّى العروسية

تتضمّن خبر ابن عيسى انه كتب الطلبة رسالة بالواوية في شأن إبنه
متعرض أي مربوط في حال تعرّسه.

حكى امحمد ابن العربي قال كنت في صبحة خميس على العودة، و صحبت رجلا يقال له بالخودة، و سربا قاصدين الوعدة، فلمّا وصلنا تراب السواحية، وجدنا بارودهم يضرب، و خيولهم في المشور تلعب، فلمّا قضين الطواف، ونلنا زيارة الالطاف، و جدنا جملة من الطلبا ملمومين، حول سدرة مجموعين، فامتزجنا معهم للقيل و القال، و للاختبار و الاستخبار و السوال، فما ان لبثت إذ سمعت ان ابن عيسى ذهب ليزف عرسا لابنه، ويستملك امراة جديدة في عشّه، فاشتاق قلبي لانظر مفاكهة هذا العرس، و ما يقع من الشدّ و الحرس، فلمّا امتصّ مخ العظم، و افترقع الطعام، قصدت دوّار اولاد بن عوالي، لانزل ساحة شيخنا ابن عيسى العوالي، فلمّا وصلت للحصيدة، ملت الى الشريعة، نزلت عند الطلبا و سألتهم عن الشيخ المشار اليه، كيف هو حاله و ما جرى عليه، فقالوا انه مذ زفّ بعرسه، لم يدرج من عشّه، و قد زعم ان ابنه نحن ربطناه ونحن بارين ممّا دعاه، فقلت ابعثوا له احدا يكلّمه الينا، و ننطروا دعوته لدينا، فبعثوا له طالبا جليلا، فذهب و لم يلبث الاّ قليلا، وإذا به رجع رجوع المعوية، و بيده كتاب مرقوم بالواوية، هيئته هكذا:

"اجى سي اللام وضرة رينحُ المورّمين رينكُ الوادقين رينصُ ومْع رينجُ الوالبة رينطُ الولام رينسُ اجليكم سي العين ورومة رينحُ الجاه سي الام و وركاته رينبُ و وعد رينب اولمو رينعُ واجي سي النون ومعت رينسُ و وكيت رينشُ صيكم يَفا انكم ما التا وبطتوا سي الرا اوني رينبُ جلا سي العين زوكته ما الجيم وذا رينهو ما ووشي رينهوا صليح يا ميم و ليكم رينعُ و ما وشي رينهوا وَقْ رينحُ جوكان سي اللام ولتوا لي رينق ولا رينع اجي سي اللام و بيتوا رينح جوكان سي اللام وضيتلكم رينقُ اجي سي اللام و لبتوا رينطُ و صنين يا ميم وملتوا رينعُ اجي سي اللام وبّ رينحُ واطركم رينخُ وحّة رينصُ صاني يا را ما نودمش رينقُ

وندكم رينع اِجى سي اللام اِوا رينذ اولقتوا رينطُ جلدي سي الواو و جنين يا ميم نووف رينشُ جلدي سي الواو مو رينع وروسته رينعُ يوه رينزُ والي رينحُ وننكرب ما الطا مواكم رينعُ و نولعوا رينطُ الوانة رينقُ و اِجا سي اللام ما تووفوني رينشُ ما نووفكم رينشُ فواذا رينهُ ما ونا رينم ويه رينبُ الحكم ما اليا و الولام رينسُ و وتب رينكُ وبد رينع جبّه سي الرا الوبيب رينح صَنْ يا با ويسى رينعُ جطف سي اللام الجاه سي اللام ويهْ رينب اجين سي الميم".

قال الراوي فلمّا تطالعنا هذا العنوان، وحارت لفهمه الاذهان، واستعجم نطقه على اللسان، وجدناه نكِرة منكّرة، وحصلة محصّلة، و علمنا بالتحقيق ان من لا يفتل الحبل الاّ من حلّه، و لا من يرقع الشرك من قطعه، فقلت للطلبة ألا نذهبوا له دفعة، و نستفادوا منه هذه النجعة، فقالوا نعم، اتكل على الله و اقدم، فسرنا الى ان سمطنا على ترعته، وعيطنا على عيشته، فإذا سمعناه أي ابن عيسى يقول هذا يوم الخسران، هذا يوم الاخذ على الامان، هذا ما عملت لي يدي، نحّست بين الكواكب سعدي، فقلنا اخرج لنا، ولا تضايق منّا، فلسنا جيناك طامعين، وانما أتيناك سائلين، فشهر الستار واندفع، كأنه بردع، فلمّا وقف قدّامنا، واستبدر كلامنا، رأيناه كأنه حشم، ثم انه طرح رأسه و تبسّم، وقال ان سرحتكم على عاقبكم، فبخسة لمخاطبكم، و ان انعمت لدخولكم، فخطية لمقالكم، فقلنا له اختر ايّهما شئت، و لا تندم على ما فعلت، فقال لنا ادخلوا المكان، و الله المستعان، فدخلنا الخيمة متباشرين، متباسطين متلاعبين، و جلس معنا ابن عيسى العوالي، و هو يلوّز بعينيه كالقرن الغزالي، فلم يك الاّ كطياب قُرسة، او اشتداد نسعة، حتّى كانت الرسالة العجمآ، المبهمة كالليلة الظلما، معناها واضح، و سرّها قادح، و في اثرها دفع الضيفة بالشوا، و المطاعم الحلوا، فنلنا منه حصّتين، واستفدنا منه حكمتين، املاء الرسالة انتظاما، و امتلاء البطون طعاما، تفسير الرسالة المودوعة بهذه المقامة المرقومة بالواوية:

"الى حضرة المكرمين الصادقين جمع الطلبة السلام عليكم و رحمة الله عليكم و بركاته و بعد اعلموا اني سمعت و شكّيت فيكم انتم ربطتوا ابني على زوجته، و هذا ما هو شي مليح عليكم و ما هو شي حق لو كان قلتوا لي على الّي حبّيتوا لو كان قضيت لكم الّي طلبتوا و منين عملتوا لّي حبّ خاطركم صحّة راني ما نقدمش عندكم الاّ إذا اطلقتوا ولدي و منين نشوف ولدي مع عروسته يَزْهَ حالي و ننطرب معكم و نطلعوا القانة و الاّ ما تشوفوني ما نشوفكم و هذا ما منا به الحكم والسلام وكتب عبد ربّه الحبيب بن عيسى لطف الله به أمين".

المقامة العاشرة تسمى الندرومية

تتضمّن اخبار ابن عيسى انه باع النقط في سوق ندرومة و ما كان صار له في تلمسان مع أحد البوليس

اخبرنا امحمد بن العربي قال كنت اجول من قطرب، في بلاد المغرب، وكنت وقتئذ مسافرا اقرا لوحتي، واصفي سلكتي، فلمّا حفظت المنزول، و وعيت المنقول، اشتاق قلبي نظرة الوطن، والارتكاض في العطن، فودعت الطلبة و استسمحت فقيهي للتسريح، و سدفت شغلي في الخنشة وشهرت للرجوع بالتصريح، فقطعت فيافي و مخايف، و رافقت عدّة مهايف واقتحمت مشايق السفر، و انقطاع السهر، الى ان وصلت بلاد ندرومة، و دخلتها عشية مسومة، و كانت تلك الليلة ليلة سوقها، و مجمع هلمامها، فبت ليلتي غريب، ليس لي قريب، فلمّا علم الخيط الابيض، قمت لاداء ماهو مفرض، الى ان شعشع النهار بضوئه، و اجتمع الهجيج بسوقه، و ديدن بمعموره من صياح ونهيق، و حسّ اميق، إذ سمعت برّاحا، بصوته فصّاحا، و هو يقول آشاري النقط، ان عندي تلّيس مرابط، فاهممت بقول البرّاح، و لم استوعب فايدة التبراح، فلمحت الشخص الناطق، الى ان رايته ببصر مطابق، فاذا هو شيخنا ابن عيسى صاحب ابليس فعزمت لما رايته لملاقاته، و بعد السلام عليه اخذت أسأله، فمرّ بي الى ڤيطون عطّار، و كان قد نصب عليه شبكة مطّار، فاجلسني خلفه، وقعد تنفّه، و قال لي خذ جواب سؤالك، و ما طلب مرامك، اني لما دخلت لهذه البلاد، تساريتها بالتمهاد، وكسرت اذني لاستماع كلام اهلها، فوجدت نقطة القاف عندهم ممنوع منها، و أوّل ما شاهدته، وأغرب ما رأيته، اني مررت عن مسجد فسمعت طالبا يتلو القرآن، و يرتل بزعمه البيان، و هو يقول "كال كايل منهم لا تكتلوا يوسف و الكوه الخ" و مراده " قال قآئل منهم لا تقتلوا يوسف و ألقوه الخ"[58] و الثاني جزت عن مسجد و إذا بفقيه يملي على تلميذه وتلميذه يفتي له بقوله اسيدي كال فالحك والحك فيملي إليه

[58] القرآن، 10/12.

الفقيه بقوله أكول ولا أميّز سوى كال فالحك و الحك و المراد بالآية " قال فالحقُّ والحقَّ أقول الخ"[59] قال ابن عيسى فلمّا رايت احتياج النقط للعالم و المتعلّم، قمت ابرح لابيع ما عندي من النقط الملتقم، قال ابن العربي فضحكنا و قلنا له و الله ما انت الاّ خزّار، و اكبر دقّاش و هرهار، ثمّ قلنا له زد كيّل لنا بصاع فمك، وزرنق لنا قصّة من غرايب أسفارك، فشنّف متبسّما، و نطق متكلّما، و قال ما رايت ما اخبركم به، و احكي لكم عليه، الاّ ما طرى لي اوّل الأمس بتلمسان مع أحد البوليسي من أهل الطغيان، و هو كنت أجول عشية بدرب اجراكة، و بلغتي تهرتف كمشي الابراكة، اذ لقيت عجوزا كنت اعرفها في بلاد اهلها، فلمّا لمحتها سلّمت عليها، ثمّ سألتها عن احوالها و ما جرى في اوطانها، فقالت لي ألم تعلم بحبيبتك الفحجا، العوجا العرجا، انها في دار القرغلان، ساكنة بالأمان، فقلت لها ألك في الوصول اليها قالت نعم، إذا تمكّنّي ما عندك من دراهم، فنقّدتها جميع ما عندي في الحال، كما ينقّد في مال حلال، فمشت قدّامي الى ان دخلت دارا مصونة، باصطاحها مدورة، فناظرتها حتّى خرجت، و اوعدتني وضحكت، و قالت انها مسلّمة عليك، و قايلة اليك، ارجع غدا صباحا عند هذا الباب، فانها تلقاك بلا مشقّة ولا اتعاب، ففرحت بذلك و شكرت صنعها، و لم أعلم ان ذلك حيلة و مكر على نصبتها، فلمّا فارقتها بت طول ليلتي، مسامرا مع رفقتي، و كنّا تلك الليلة عدّة اهل الكهف، و لم اتحقّق قريبا من الألف، الى ان ترخّمت العيون، وصمتت اللسون، غضنا في النوم حتّى اصبح الحال، و تهيأ كل طالب للمنال، قمت للوعد المعلوم، عند الباب المشوم، فلمّا وصلته بقيت أدور عليه، أمشي و أرجع اليه، اذ بعجوزة رقبت عليّ من الصطح، فلمّا رأيتها قلت في نفسي هذا باب الفتح، فلمّا تحقّقتها بعيونتي، التي غدرتني و اخذت دريهمتي، ثم انها كلمتني بصوت فضيح، وكلام قبيح، و قالت ما حاجتك هنا يا شيبة الكلب، وانطلقت عليّ جميع انواع السب، فبقيت متحيّرا، و ارادف الزفرات مغيرا، ثمّ اني ظهر لي بأن اشتكي بها، واعلم الحاكم

---

[59] القرآن، 84/39.

عليها، و على غدرها، ثمّ اهبطت الى بيروا الكمساريات، لاجعل دعوتي من جملة الشكايات، فلمّا وصلت للحكومة لم أجد سوى أحد البوليس، متزعبلا في هيئته كأنه تلّيس، و لابسا قاطا مرشوشا، و متعمما طربوشا، و هو جالس على كرسي، و قابض سبسي، و جاعل ركبة على ركبة، و قدّامه فنجال من القهوة، فلمّا هويت نحوه، و دخلت عنده، خفّ في القيام واجلالا اليّ، و بادر بالمصافحة عليّ، و كلّمني بأدب حديث، و لم يعلم انني خبيث، و قال لي ما حاجتك عندنا يا فقيه، ان لك حاجة تقضى بتنبيه، فلمّا رأيت منه ذلك الإحسان، و غاية الترحّب بلا امنان، اختلس قلبي بالتخميم، و كأنني اشرفت للتنديم، وقلت في قلبي ان ابحث له دعوتي، انتقصت حرمتي، و ان اكتمت عليه سرّي، تحيّر من أمري، وقد طال معي البحث، ولم يسعف بالاقالة للبث، و أنا أقول له إني أريد ان أتكلّم مع الحاكم نفسه، لانظر بطشه و حكمه، و هو يقول لي يا سيدي إن الحاكم لا زال لم يقدم، وأنا ان شاء الله أقضي لك ما انت به مهتم، و اكدني حتّى خلته صديقا، و ان يكون لي رفيقا، فقلت له اسمع يا أخي، جمعك الله مع الأواخي، اني كنت بالأمس أدور، إذ لقيت عجوزا تدور، فالتقيتها لاتخذها معاونة، إذ بها خاينة، فزبلحتني حتّى أخذت دراهمي، و تركتني مغموما بهمّي، قال ابن عيسى، البسه الله الخنتريسى، فلمّا سمع كلامي ذلك البوليس، ارتكب طبعه بالتنحيس، ثمّ تبدّل لونه، و اصفرّ وجهه، و قال لي اذهب يا دين النوم، يا ابن الزنى و العموم، اتغلطونا حتّى نحسبكم فقها، و انتم سفها، و اعانني بدبزة و ركلة، و نهضة عاصفة و صفقة، فما برحت اذ سقرت العتبة درجتين، و انا في غير عقل اخطو في الخطوة خطوتين، و قد هبطت مع الدرب، منهدرا كالدب، و لا اسمع الا الكلب ابن الكلب، و كثير ما يلحقني من انواع السب، الى ان درقت في الزقاق، و نجست بين الاستباق، و قد خرجت من تلمسان، صافق اليدان، قال المخبر بهذه الحكاية فلمّا سمع ذلك صاحب القيطون، و هو العطّار المشطون، نفر منه كما ينفر البغل الهيّاب، عند رؤيته للاجمال ملويين الرقاب، و قال له عهدي بك تقيا لايقا، اذ بك عاصيا فاسقا، اخرج من عندي لا اسعد الله يومك، و لا اربح من يلقاك، فاغتاظ ابن عيسى و قام واقفا، و تكلّم

متبهبرا عانفا، و قال له أتقذفني بالعصيان يا عطّار يا عكّار، يا بيّاع الحنّة و زغب الفار، انت أقبح قرارة، و احرر مرارة، فو الذي البسني بالأدب النقي، و اغطسك في الزيوت و الادم الشقي، فلاحضرنّك مجلس الحكم، و لاحكمنّ عليك بالإسأة و الذم، ثم التفت الي و قال لي يا بن العربي انظرني هاهنا، و لا تترى حتى تنظر ما يطرى، و انطلق الخفّ، حتّى غاب في الزحف، وبقينا ننظر ما يمطر من غيمه، و اذ به كرعد زقّلم وجاز بريحه، فاستنيّته حتّى افترق السوق، وذهب السأيق و المسوق، فتحقّقت انه فلت و انقبس، فانقلبت الى موضعي و قطعت من جرّته الايس.

المقامة الحادية عشرة الكرصيّة الميدانيّة

تتضن خبر ما رأى ابن عيسى في وهران من شأن رجل مات مصهودا
في الحمام و من الزهو في الميدان

اخبرنا امحمد بن العربي قال كنّا في يوم اربعة و ليلة خميس، وقعت زردة و اجتمعوا عليها عدّة من طلبا التدريس، و نحن ليلتئذ كنّا عدّة أيّام الشهر، في جامعنا المعلوم من قديم الدهر، فلمّا اتممنا العشا، و ادينا الصلاة المفروضة لوقت العشا، اغلقنا الباب و اشعلنا القناديل، و جلسنا جميعة جميعة للمسامرة بالتاويل، فبينما نحن مسطابين، على ثائنتنا معتكفين، إذا بعود نحنح، و كلب هرّ و نبح، فصمتنا لهذا، لننظروا ما ذا، إذ بنشطة من الصبار صعدت، و همزة على الباب ردفت، فكلمه مقدّمنا، و متكلّف امرنا، قايلا له علينا من انت، فاجابه الطارق بقوله منه يا فتا، فعرفنا انه العوالي من نطقه، و تباشرت الطلبة باتمام ليلته، فافتحنا الباب و ادخلناه، ثم سلّمنا عليه و نقشناه، عبّزناه وعافرناه، دغدغناه و نقزناه، ثمّ اقبلنا عليه و اجلسناه، ووضعنا السفيرة بين يديه، واعرضنا الاكل عليه، فذاق كما يذوق الشبعان، و دعى الى الماء دعوة العطشان، فلمّا مصمص يداه، و مضمض فاه، سألنا من اين هوى، و الى اين يهوى، فقال امّا هيابي فمن مرجاج، و إمّا ذهابي فإلى وطن الاعراج، ثم تغامزنا وطلبنا منه الحديث، لاقصار الليل بالتحديث، فقال يا معشر الاحباب، و يا ذوي الالباب، اني كنت بوهران و شاهدت عجبة، و رأيت وقائع مغربة، و حافظت خطبة، فأمّا العجبة ففي الحمام القديم، الذي هو لصالح ابن لمُّ الهريم، و امّا الوقايع المغربة، ففيها اخبار مطربة، و امّا الخطبة فلعلاّمة الزمان، و فريد العصر و الآوان، و صاحب الصدق و الامان، ذى المحبة و الحنانة والاحسان، الفقيه النحرير السيد فلان، و لكن اقسم لكم بالذي طبع علفة التمر من ظهرها، و شقّها من صدرها، اني لا اخبركم بما رأيت و لا رأيتموه، و لا اقصّ عليكم ما علمت ولا علمتموه، الاّ إذا فعمتم وعاي، و امتليتم مخباي، فبخبخت الطلبة بالاقبال، و عزموا على الشروع في الاعمال، ثم

اومر المقدّم و فرش درباله، و نصب للفاتحة اكفافه، و عرّى صطلته مفتّحا، و دعى للزيارة مستفتحا، فلم يك الاّ كطلعة كابوس، إذ بالدراهم و الفلوس، تطاير كالناموس، و ابن عيسى ينظر الجماعة بعينيه، و يخلّل لحيته، فلمّا برز كل منّا زطامه، و ادى غرامته، جمع المقدّم ما طاح، وناوله للذي يترجّى كالمدّاح، فلمّا قبض مغناها، و خبّى رباها و هباها، حمرت شريتاه، و تزعفرت شلغومته، و قال اعلموا يا ذوي العقول الراجحة، و الاعمال الصالحة، اني كنت أوّل أمس بوهران، لانظر الزهو في الميدان، و كنت وصلتها في ظلمة المغيريب، بحيث لا يفرز الكليب من الذويب، وكنت وقتئذ محتاجا الى تطهير الاعضاء، و تبديل الانقا، فقصدت الحمام القديم، و صاحبه ابن لمُّ الهريم، فلمّا دخلت بيت سخونه، و التقيت بتيار شروره، و جدت ناس يحممون، و هم ملمومون الى جهة الحر يتلطّمون، و كان أحد إسمه ولد قدّة مدّاح كفيف، قاطن بالمدينة الجديدة عفيف، و مع المزاقدية رديف، وهو مبطوح على البلاط الذي هو أشد سخون، و الناس يحذّرونه لئلا يقع في الهلاك كالمجنون، وهو يقول لهم اني ما نبذل دراهمي، الاّ باستفا مرغوبي و مقاحمي، فسهوا عليه ساعة او أقّل، ثم التفتوا اليه فوجدوه ثقل، و شاهدنا الكفيف ممدودا، و انسلخ جلده على لحمه مصهودا، وصار جلده مزلوطا، و جسمه مسخوطا، فحمل في الوقت الى السبيطار، مات فيه و توفّى عند انشقاق الافجار، رحمه الله أمين، و غفر لنا و له أجمعين، ثمّ خرجت فازعا مخلوعا، ممّا شاهدته موجوعا، ثمّ هزّ رأسه و قال يا معشر الطلبا هيّوا للاستماع، و بالله استعين للتشراع، ما وقع بالمدينة الجديد الشنيعة، بثغر وهران الدرّة الفريدة، و ممّا تذهل به العقول، و تفرح له القلوب و النقول، وتنشرح منه الصدور والخواطر، و تلين له الخطوب والنوادر، هو ما شهدناه بالامس، يوم ثاني رجب الفرد و كان سالما من النحس، من اجتماع اهل الدولة و اضيافها، من السادات الكرام علاماتها، الذين اتوا من افرنصة، و من غيرها من اهل الفراصة، مع عرب البلاد و الاوطان، باعيانهم في حلبة وهران، فهو جلّ جلاله على جمعهم إذا يشاء قدير، و يفعل ما يريد فيما يشاء و لا يحير، وذلك في أرض فسيحة الاركان، منوّرة الاغراس و الافنان، و اجتمع فيها

خلق عديد من رجال و نسا، و صبيان و كسا، و كذلك العرب قد أتوا من كل جهة بخيولهم على اصنافها و الوانها وركاضها لحضورهم، بالحلبة لدى أهل المعرفة و الزمان، و فخر الوقت و الآوان، فمن شار كلها انه بالسرور كالنشوان الجايرة، و لا ترى الاّ عتاق الخيل طايرة، في ميدان الدايرة، و امّا وهران بقورها، كأنها مزيّة بشوارعها، مزينة على اسوارها، الاّ بما يخفق مثل الاطيار باجنحتها، والحاصل كل فارس كأسد، و مكحلة صافية تخطف بصر الثمد، و الراية ترفرف على القوم، وحسّ الركاب كاليوم المعلوم، و يتبعها خلي البارود، و اصناف اللعب المشدود، فيحير العقل في وصفها، و ينظر الخاطر لرؤيتها، فعند ذلك شاهدوا اهل الدولة و اضيافهم، السادات الكرام و علامائهم، ببراعة الامّة العربية، بفضيلة اهلها على غيرهم بالكلية، فهذا و الله المدح الحقيقي، اللايق بهم مفيقي، ثمّ دوّر رأسه مرّتين، و هزّه هزّتين، و قال والله ابوكم العوالي حيث يقول :

يا اهل العلوم اسمعوا لي * ذا العجاب عمري ما ريتُ

في المدينة الجديدة وافق لي * من كل نوع فيها شاهدتُ

جمعت كثير خلق العالي * من كل جنس فيها نعتُ

ديدن الغواشي و اخرج دالي * عولوا على طبقت فرجةً

القلايلي قلقل قلال * و القصاصبي قصب قصبتُ

ناضت العروسة تتعوّج * للشطيح قبضت نصلتُ

صوط البرّاح اخناف * يالغلام تسمع اصواتُ

فراش

عشّت العشيّة و ابرد الحال * آ القوّال * كل مريول خضى جرة

امشيت للفنادق نحتال * آ القوّال * صبت رعيان الخيل المجّورة

انواعد للركبة لادخول المال * آ القوّال * للمدينة يمشوا زمرة

ترياش

أرواح تشوف منين ركبوا * بمشاعل يتواقدوا مثل النيران * آ شومان

وعلامات يرفرفوا فوق اصحابوا * والطبول ترعد بالضرب الهونان * آ شومان

و الغوايط تنغم باصوابوا * هودوا كيف امحلّة السلطان * آ شومان

من عقبة الجيّارة رقبوا

فراش

أرواح تشوف آخويَ من طعنوا البلاد * دارت ديه باموالها تقول جردان

رعبت سكانها و اليهود خرجوا اعداد * تسمع حسّ سميحة تقول عمران

و النصارى زياخ فالزهو لا رقاد * يشّطحوا فى بزارات حسن الامكان

قال المخبر بهذه الحكاية فلمّا وصل ابن عيسى الى هذه البيت قال و اما الخطبة النفيسة، فايقة التجنيسة، فيجيب عليكم الصمت و النباهة لاستماعها، و نسأله تعالى ان يفتح ذهونكم لفهمها وحفظها، و لكن يا ايّها المحبّون ألا تسامحونني اسبغ الوضو، و ارجع اتمّ هذه الحكاية الموضو، فقلنا سمعا و طاعة و ناولناه الحلاّب، فقبضه منّا و خرج من الباب، و لم نعلم انه هرّاب، فلمّا استبطينا رجوعه، خرجنا ننظر حاله، فلم نجد له حسّا، و حيّينا عليه المواضع أسا، حتّى خلنا ان الأرض بلعته أم السما رفعته، فلمّا اصبح الصباح وجدنا مكتوبا على الباسط، بفحمة على الحايط، كان سروجيّ قبلي، فعل

لاصحابه مثلي، و قال ان اقصار الليلة في الخرافات، لمن اعظم الافات، فلمّا رأينا هذا تلاومنا لاطلاقه، و ندمنا على استخراجه.

المقامة الثانية عشرة تسمّى الفوكية

تتضمّن المخاصمة في شأن زردة الربيع وحكم تبوثها وما وقع لهم
بمدينة فوكة و بسواحل بحرها

حدثنا امحمد بن العربي قال كنت في زمان اسعد سكنت سعيدة، واستوطنتها ولو انها بعيدة، لما لي فيها من القرابة المفيدة، ومنها عجت لمدينة سيدي ابي العباس، لاختبر حقيقة معاشرة بعض الناس، فلم البث فيها الاّ قليلا، ولم اجد عن خروجها تحويلا، فساقني القدر الخطير، لقليعة عزب عنها الخير، فبقيت فيها اعواما، لا استلذ طعاما، ولا اغبط مناما، أكابد الغربة و اشجانها، الفقر المتولى خصوصا عليها، فبينما انا ذات يوم كنت جالسا بسحين مسجدها المقابل لعمارة سوقها وبلاصتها، وبجانبي إمامها المعروف، السيد احمد الحجّوطي النقي الموصوف، إذ رأينا تلميذا قدّاشا، يجر نعليه على الارض كأنه قرداشا، ويغربل بتفريق اوراقا بيده للناس، ولا يعتبر في ذلك من بأس، و لمّا افاض مروره بنا، وهجومه بالجواز علينا، مدّ للامام ورقة من الاوراق، ذلك الورّاق، فقرأ سرا معانيها، ثم ارانيها و ناولنيها، فإذا المكتوب فيها، اعلام ان سعادة الوالي رئيس إدارة مجالس العلوم الكدّية مخبر لكافة الطلبا، الصادقين الأدبا، بأنه ردّ كريم نظره في الزردة التي رتّبوها على مقابلهم ولمّا طال بهم الترجّي، واضطرّوا الى المنجّي، شالت بينهم المخاصم، وارتفعت دعوتهم للمحاكم، حتّى عجز عن فصل قضيتهم كل قاض يقضي وكل فقيه، وحار فيها كل امام و كل نبيه، الان اعلموا واستبشروا، وابشروا بالزردة وبشّروا، فإن الوالي اعزّه الله، و احسن تقواه، في يوم التاريخ انظم مجلس علمائة، سدّدهم الله بأسرار أسمائه، و وضع طلبتكم لديه، و استشار عليها كواكب دارته، ودونكم نصّ ما وقع في استوائه، فمنهم من ضعّف استوجابها، و نبذا استثباتها، و منهم من قال انها بذلة ماء في هوا، وبذرة زارع في صهبا، و منهم من قرأ عليها تخلف بخلف السبْط، و قيد الدرهم بالضبط والربط، و حكى حكاية ابن الانبط لمّا كان ماشيا في سوق و معه ابنه و كان بيد ابيه درهم فمرّا على رجل

عيساوي قابض حيّة و يقول من يعطيني درهم فإني ابتلع هذه الحيّة فالتفت ابن الانبط الى ابنه و قال له يا ولدي احفظ درهمك فمن أجله تبتلع الحيّات، الى غير ذلك من الحكايات، ومنهم من قال بل ما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو من قال هذه صدقة و لا صدقة باعتبار، و لا هبة بانتهار، و منهم من قرأ عليها، و للشحيح على أمواله علل، يسعنه ابدا ذما و تبكيتا، فجد بما جمعت كفاك من نشب، حتّى ترى من جدواك منحوتا، و منهم من قال لا يبلغ المجد الا السيد الباذل، لما يشقّ على الناس فعّال، واشتد بين الجماعة الكدّ واللدّ، المشاجرة بالفم وباليد، فمنهم من اثبت الزردة بالكباب، ومنهم من قال تركها هو الصواب، واستشكل على أخرين الجواب، الى ان نكلت الزماجر، و صمت المزجور و الزاجر، اذ برز من عمام الجماعة كهل كأنه نبش عليه من القبور، او اخرج من سجن مثبور، و قال يا اهل ذا المجلس القويم، وقيتم من الضلال العميم، هلمّوا اليّ و اسمعوا، وخذوا ما أقول لكم و لا تكذّبوا، فإن مسألتكم هذه لا يكشف سرّها، و ينور عبقريها، الا بقرعة و لغط، او نصبة من الزناتي بخطّ، فإن ارضاكم ذاك ففاتحوا، و إلاّ فشدّوا احبالكم و لا ترخوا، فإن كذّبتموني فكلاّ ساء ما تظنون، و كلاّ سوف تعلمون، فانعمت الجماعة بقوله، واستقلدت برأيه و فعله، فلم يك الاّ قدر ما احمل اليه رملا مصفّى، ونشره بين يديه صفّا صفّى، ثمّ نقط على رمليته، ليبث باطن حكمته، فاستطلع الضمير بشكل الاجتماع، الدال على الترجي و الطماع، ثمّ قال اضرب الضيف مع مولى الدار، ياتيك من يعطيك الاخبار، واشهد عليه ثوالثه، لتحظى بفائدة سوابعه، فلمّا فعل استنبا من توليده شكل البياض، الدال على الاتصال بعد الارتكاض، فقهقه حينئذ وصفّق يداه و حكم لثبوت الزردة بمل فاه، فوفّقه الجماعة لحكمه، وانعم الوالي رئيس الحكومة الهرورية[60] بموافقة تنفيذه، و في المجلس القابل يعيّنوا لكم يوم الزردة و محلّها و وقتها، و كيفيتها، و صفتها، وما يلزم لها وما تحتوي عليه، مرتبا كل شي بانفصاله، فاحمدوا الله وكونوا من الشاكرين،

---

[60] الهرورية مأخوذة من هرير الكلب و هو ما يستعمله الكلب قبل نبحه.

و تباشروا بارتفاع كلمتكم لاعلى عليّين، وقد كان جدولكم لاقاه تيارا، و طلبتكم حاقها اعتصارا، الحمد لله الذي جعل اوّلها قمطريرا، وصير اخرها منيرا :

آحبيب قلبي لا تجزع * بالهموم مولانا فرّاج

كل ضيق ينفاجه ياسع * ما تدوم الشدة باعلاج

فادر كريم يحن و يشفع * كل من اصبر نال منهاج

و بأمره أعزّه الله امضاه كاتب سرّ اللجنة عبده بالشيخ المرّيخ، فلمّا اتممت قرأة الرقعة تأملتها، فإذا المكتوب بمقلوبها، نصّه بعد الحمدلة و السبحلة أعلم ان الوزير الاعظم حافظ السرّ و منفذ الامور الوالي رئيس إدارة المجلس الكدّية[61] مخبر الكافة الغربا المجلوزين و المدروزين[62] والخرّازين و الطرّازين و العبّازين و الهمّازين و الغمّازين و الخبّازين والمطزطزين و المغرقعين والدبّاغين و الخيّاطين والدراويش، الذين هم كالحرّيف[63] في الحشيش، ان زردة الربيع التي انعم الوالي بها على الطلبا الصادقين تكون إن شاء الله يوم

---

[61] الكدية مأخوذة من الكدّ و هو الكذب و ارتكاب المشاق.

[62] لفظة المدروزين الى لفظة المقرقعين كلهم اسماء اهل الحرف الخسيسة كدقّ الحلفة و برم الدوم الخ و الدباغة و الخياطة حرفة الحماق امّا الدبّاغ فإنه يلبس اطراف الخيش و الشكاير او بعض الجلود و يتحزّم عليهم بحبل الحلفة و يغسل الجلود في الماء الجاري او الراكد المنتن و هو يغني و تايه كأنه من اكابر و امّا الخيّاطين فحكم على خيّاط انه كان خطب امراة يتزوّج بها فسمع به رجل ذاهي و اراد خطبتها فذهب لها و قال سمعت بك ان تريدي التزويج مع فلان الخيّاط فقالت له نعم فقال لها ا لم تعلمي بأنه احمق لا عقل له فقالت له لا قال ابعثي له و قولي له يأتي بألته و يجلس قدّامك يخيّط فإنّك ترى ما يصدر منه ففعلت ما قال لها و بعثت للخيّاط فأتاها و جلس يخيط قربا منها و هي تحضيه سرّا فلم يبق الا قليلا و اذا به حطّ الابرة حذوه و التفت لشي ثمّ رجع لياخذ الابرة فانتلفت عليه فصار يفتّش عليها و هو ساكت ثمّ قام قايما و بدا ينفض في حوائجه و عيناه غايران لينظر الابرة و المراة تنظر اليه و هو في حال غضب فلم تشكّ انه احمق فسرحته و تزوّجت بغيره و امّا الدباغة فإني رايت دبّاغا بوادي معسكر قرب رحاة الماء و هو ملتف في خيش و لاوي عليه حبلا و يطوّل و يجبد في جلد عنزي و كيفيته انّه عمد الى دنب الجلد و ربطه مع صخرة كبيرة ثمّ ثقب الجلد من اربعة ارجل و جعل في كل ثقبة صبعا من اصابعه الكبار الرجلين في الرجلين و اليدين في اليدين ثمّ قبض في محل رقبة الجلد باسنانه و صار يطنّب اعضايه و يرجع رجليه و يمدّ يديه و يكسّل رقبته و يزحزح بكليته ليعطي حق الذنب المربوط مع الحجرة و في تكسّله يلقى الماء الخارج من الرحى و هو في اشنع حالة اعوذ بالله منها رؤية و هذا دليل على حمقه.

[63] الحرّيف عشبة ينبت في الربيع اذا مسّ لحم الانسان يحرقه بشدّة.

الخميس خامس فصل الربيع السنوي وليلة الجمعة السادسة و محلها بحريم قبّة الوالي، سيدي عبد القادر الجيلالي، الكاينة بغرب قرية فوكة براس الجبل العالي، الراقبة على البحر و سواحله، و اوديته واجنته و عامرته، و وقتها أوّل ساعة الضحى و كيفيتها يكون جمع الحجيج، في المحل و اليوم و الساعة بنية التفريج، ثم يقرؤن بعض السور و يهبط من راد لساحل البحر، ليحضى ببركة من يخرج من اليمّ مختمر، و عند التقائه تفريج الهمّ و الغمّ و الكدر، و كيفيتها الخ فبعد صلاة الظهر ترتفع الكفف، و تستقيم الصفف، و تدور الحلقة لسوق الربح، و من اراد العمارة فليشتري الملح، و لهذا يلزم من استطاع البسوس قبل الجلوس، والتمركس عن بعض الفلوس، و في اثنائه دفع الماكل و المشراب، والكلام الطرب والملاعب، و قبل الغروب، عند امتساس اللغوب، و يكون الرجوع لرباط المنيعة، و الكاين بقلب القليعة، و فيه يصير كيت و كيت من رنّة الاوتار و نغم الملاح، إلى ان يداعي الداعي بالفلاح للصباح، يكن الانطلاق لاعمال الصلاح، و السلام و به الخليفة حمّود الطرّار، بيّاع الشبّ و الطرطار، فلمّا تممت قرائتها، واستوعبت خطابها، قلت لرفيقي زد لي ايضاحا، زادك الله اصلاحا، فما معنى قوله ليحضى ببركة من يخرج من اليمّ الخ فقال لي اعلم يا اخ ان اهل هذا الاقليم، كانت لهم سعة و ثروة في التنعيم، وكان سبرهم في كل سنة يخرجون في أوّل فصل الربيع و يسمّونه الموسم الذي يبسط فيه الشايب و الرضيع، و لمّا ضربهم الزمان بغزاله، و استولى عليهم الفقر باوجاعه، نبذوا تلك العادة و تركوها، و ايّاسوا منها و انسوها و بطلوها، و في هذه السنة قام بعض اولائك الجيل، ليحيّوا ما فرطوا اهل هذا القبيل، حتّى آل الأمر للنزاع و صدر الحكم فيما جرى، كيف ترى، و امّا ما يخرج من اليمّ فهو مرابط يخرج من البحر يأتي من الغرب، يزورونه المهمومين لاجتلا الكرب، وهو قطب ربّاني، وعفريت صمداني، قد شهد عليه كرايم يكلّ القلم عن رقمه في الاوراق، و يعيّ البرّاح بها في الزقاقات و الأسواق، قال ابن العربي فلمّا سمعت ما قال، و قد اوجز فيما جال، حدثتني نفسي الذميمة، العظيمة، و مهجتي الشريفة الكريمة، بأني اولى من يشاهد هذا المقام، و يلتمس التوسّل لادراك المرام، و ربّ رمية من

غير رام، و ان كانت لنا سببا للقضا، فهاتك البغية من الارادة والقضا، فقلت للامام أينه يا فقيه، يا ذا الفضل النبيه، ألا تأذن لي أكون من رفقائك في هذا اليوم النزيه، فقال بلى و اوعى، و اكون لك من المؤمنين عند الدعى، فصرت في الحين من المنتظرين لذلك اليوم واحوج اليه اكثر من القوم، فلمّا انتهى امد اليوم الموعود، و لم يبقى الاّ ملاقات الشاهد والمشهود، قمت يوم الخميس مجردا جلبابا، و لبست جلاّبا، و اتلت فرستي في كروستي وركبت والامام محاذيا يسرتي، و قلنا بسم الله المنّان، و اطلقنا لها العنان، فاندفعت نجزة تمدّ باعها سياني، اذ هي من الجنس السرياني، فلم يمض من الزمان الاّ هنئة و وصلنا مدينة فوكه، التي هي من الاسماء المخمسة مشروكة، فجلسنا في ظل مصطبة دايرة بورد و رنجس و سيسان، ريثما استرحنا و اشربنا كيسان، ثم جددنا السير للمحل المقصود، إذ هو على قرب محدود، فلمّا وصلناه دخلنا ساحته، وجدنا فيه افرادا مبثوثين بعضهم يدخن دخانا، و بعضهم يزرنن زرنانا، فمكّنا الفرسة من الوكيل، ليحفضها ممّا يخاف من التخييل، ثمّ دخلنا القبّة لأداء الواجب، من الزيارة للوالي الناجب، ثمّ دخلنا و جلسنا في ظل القبّة مورّكين، منتظرين يمينا و شمالا لمن يأتي من المهزطين، و إذا بالناس شرعوا يأتون، من كل حدب ينسلون، فمنهم في الكراريس شرابات، وكاليشات ودروات، ومنهم راكبين الخيل و البغال و الحمير، و منهم يهرعون تراريس سبيل عبير، و اجتمعت الاخلاط من كل قبيل، من السايخ والشعيبة و القليعة و الدواودة و فوكة و ابو اسماعيل، ثم أتت عن بعدهم شرذمة من بيرار، و تلاها رهط من بني بزار، فلمّا تمّ اختلاط الضوضا و لم يبق من يرتجى بحمرا و لا بيضا، قام مقدّم المهرجان، و صاح كأنه الخديم مرجان، و في صياحه يقول السعي السعي للشاطي، فهذا وقت وصول السرّ الباطي، فثارت عجاجة في الجمع، و هبطوا متشوقين بالطاعة و السمع، فنزلت انا والامام حافيين، كما قدر الله ناعمين، الى ان وصلنا و قد سدى الجميع على شط المياه، و صاروا شاخصين بأبصارهم لناحية الغرب على قدر النظر لساهية المياه، فما لبثوا ان رءوا شيخا لاح، كجناح طاير مدّ و استباح، فحققه ناظورة القوم بناظوره، و قال هلموا للسعي فهذا هو القطب بناذوفه،

فافترق حينئذ القوم على اصنافه، و انواعه و اجناسه، امّا الطلبة لبعض السور يقرؤون، والدراويش يركضون و يدردقون، و غيرهم يميسون و يتمتمون، و لحاياهم يرتدعون و يهتزّون، فنزل علينا ما نزل على القوم من الجذب، و خشعنا خشوعا من صميم القلب و صرت أقرأ مع القارئين، و مرّة ادردق مع المدردقين، و اخرى أميس مع المايسين، و طورا اتمتم مع المتمتمين، واهزّ لحيتي مع الهزّازين، و نحن في شدة تسبيح و تهليل، الى ان قرب الشيخ على نحو الميل، فبان انه رجل لابس اللباس الاخضرا، من عمامة ومحنكة و جبّة و قضيب خضرا، و أمامه فلاكة ابونطه يتجرجرا، و قد تجرّد جمّ غفير و دخلوا البحر بالسباحة ليلتقوا بالفلك على البعد، و تسابقوا على من يمسّ الفلك اولا بيد، و قد دارو بالفلك متخابطين على الما، و وقعت العربدة و الزبيد طاير للسما، ولو لا عناية القدّاف، لغرق القطب في الما و جاف، فلمّا استوى الفلك بجانب البر، حذو صخرة من الجزر، قام القطب الاخضر، و بيده القطيب المعمبر، و قال الحمد لله الذي نجانا على الفلك، من مسالك الهلك، و انه سميع عليم، بعباده رؤوف رحيم، و هو ينظر للناس و يشيرلهم برأسه و يمناه، كأنه يحيّيهم و يدعولهم من مولاه، فنزل اليه مقدّم اللّجنة و اخرجه كالسردوك المتلتل، لمّا اصابه من رشراش الما المغربل، و احضره لعين اولايك الاعيان فتلقّوه بالبشاشة و الاقبال، و الدعى والتضرع و باحسن السؤال، و الناس حايطين به، متبرّكبن باتيانه، فمنهم من يمسّه ومنهم من يمسح وجهه بأذياله، فلمّا انتهت نوبة مروره من قربي، لألتمس منه ما يجلو كربي، لحت بصري عليه، و حقّقت النظر فيه، فإذا هو صاحبنا ابن عيسى المهلهل و المحلحل، السمين المبلبل المبرذل، لا زال يتلوّن ويتقلّب في أحواله و أشكاله، و يتمرّد بأقواله و أفعاله، فخزرته وقلت له إبيه إبيه يا تاتا، الى متى والى متى، فلمحني من طرف خفي، وستل عينيه كأنه إمام حنفي، ثم رفع رأسه الى السما و هال، ونطق بصوت اسمع الصم و قال، كنت اجول البراري فزدت البحر، ومن كذّبني سيرى الخبر:

فما زلت اطوي المهامه و اعلى الصحر

و اسمو الجبال عن طول البصر

آمهجة قلبي اكتم و اصطبر

فلا شك تلق من به تنتصر

فهلمم القوم اليه و ترعرعوا، و كتبوا عنه املاء ما سمعوا، ظنا به انه من كلام الاوليا، الذي يكتب اقوالهم و يحفظ محى الحيا، فكانه استنبا عما حدث ببالي، فنبهني بابياته لاحافظ سرّه و لا ابالي فغفلت عن عبثه و كرهت ان انبّه عليه، خشية ما يستجلب اليه، الا اني ندمت على ما فرط مني من الهبال، عمّا دردقت و تمتمت و ما كنت فيه من التعب و الوبال، اراقب الخبيث كما يراقب الهلال، و قربوا له كاليشا و اركبوه، و ركبوا معه اعيان القوم وشرّفوه، و انطلقوا به مع الطريق السلطانية بلا أمل، راجعين للقبّة براس الجبل، و كرّ الهجيج في اثرهم يتلاعبون و يتصافرون، ويتسابقون و يتضاربون، و هم فارحين متبشرين لازالة ما كان عن قلوبهم متكدّر، من الشوق لرؤية قطبهم المخضر، فاتبعنا اثرهم رويدا رويدا، و الامام رفيقي يكلّ من السير و يشدّ عضدا عضدا، ونحن في فاكهة الحديث، على ما رأينا في البحبحة التي لم يلبث لها لبيث، فعفت ان لم ابين له السرّ المكتوم، اكون عنده غير صادق مأثوم، فقلت له ان ايها الاخ ان الاسرار عند الاحرار تزيد، فقال لي أيّ و مُحلّ الصيد، فقلت له ان الرجل عرفته حقا، و كلّمته قصدا و نطقا، فأجابني فتقا و رتقا، و انه ليس بوالي صالح، و لا بعالم ناصح، و انما هو صعلوكا لكّاعا، خدّاعا بدّاعا، أصله زمالي، اسمه ابن عيسى العوالي، و هذا صحّة علامته، و يقين حكايته، فطارت من الشيخ شرارة و قال اه ولد الحرام، و لهذا رأيته يتدهكل كأنه الحكيم بهرام، امّا أنا فإني ما اصاحب القوم، منذ اليوم، و اعهد الله ان لا ازور بدّاعا، و لو انه شفّاعا، و سرنا الى ان وصلنا الى المحل المقصود، و هو محتف و ممسود، وبرّاح ينادي و يعود، و يقول هلمو هلمو لسوق الرباح و انهمروا ولا شكّ ان من بدرهم زار، يخلف له بألفي دينار، و القطب الاخضر واقف على صخرة امام القبّة، مستقبل للقبلة، و الناس ملتفّون به دارة مقياس، مصفوفون قياما و جلاس، و في وسط الحلقة فوطة بيضا

مخملة مفروشة، كزربية مبثوثة، يرفع الاصطرلاب و يضعه، و يرمي البصر و يتبعه، كأنه مترجي لجواب، او متأمل لصواب، و اذا به حرّك راسه و اطلق جعجعة كالبعير الهايج، او السيل المنهمر المايج، و قال الله الله يا الاحباب، هذه ساعة الاجاب، فتعازمت اللمّة برمي الزيارة المنثورة، على الفوطة المنشورة، و هو يتعوّج و يستقيم، و كشكاشة تتحذر و هو بحال سقيم، فلمّا احسّ بالمخ انفض، و لم يبقى ممن لماله رفض، صاح صيحة وعوى، ورفع يديه في الهوا، و اطلق القضيب و طاح عليه، مخرصا مغشيا عليه، فقامت المقدّمون في الحين و بربروه، و دارو به اربعة رفدوه، و للقبّة وجّهوه و دخّلوه، وكبيرهم رفع يديه و مسح بهما لحيته و قال أمين، الحمد لله ربّ العالمين، قبلت الدعاوي و قضيت الحوايج، و لم يبقى الا التنعم و الفريج، و عمد للفوطة لمّها و كمّسها، و لصاحبها الحقها، و قد لقنوه بالفلوس، ليفيّق من غشيته ذلك المنحوس، ثم تقابلت الصفوف، و نشر بين ايديهم ما هو موصوف، من الخبز المفتوت و المعارك، و المثقّب و الخفاف، و التين والزيتون و الجبن، و التشينة والماندرين و اللبن، و تضارب الجيش بالجيش عن عرك لمعارك، حتّى صار كل إنسان مزنّد من كرشه هالك، فعند ذلك افرنقعوا و نفروا، و رجعوا على حافرتهم و تنشّروا، حتّى لم يبقى الا الاعيان، في ذلك المكان، قال المخبر بهذه الحكاية، فحينئذ ودعت الامام رفيقي في أمله، راجعا لمحله، و دخلت المعمعة متطفّلا بلا عرضة الطست، لانظر تمام من يفرغ عليه ذلك الدست، و لمّا قرب الغروب احضرت العربات، و ركب الكلّ و رجعوا قاصدين الرياض للمبات، و لمّا وصلوه و دخلوه وجدوه قد رتبت بسايطه، و تناصفت في الحسن جهاته، بشموع رايقة تزهر، و أنوار عابقة تستشعر، وجعلوا مجلس القطب بالصدر، و احاطوا به مشاميم الورد و الرنجس و البهر، و عن يمينه ألة الرجال بأعوادها متمّمات، و عن شماله جمع النسوة المسمّعات، و الاخلاط بينهم تراكمت، تقعقعت وتجالست، فاندمرت في الحمّار، و جعلت مقعدي قرب السحّار، لاطالع ما بيدي من غشّه، و ما يتقرقر في كرشه، و نزلت السكتة على الجلاس، مترجيين لدفع الابساس بلا احساس، فلم يك الاّ قدر ما استقرّ كل شخص في روضته، مشمرا ليرتع

في ربضته، إذا بالمقدّم والوكلا اندفعوا، من باب مقوّس و حينا شرعوا، في تفريق الموايد و السرابت، والمغارف و المسالت، و رتّبوا بين يدي ابن عيسى سنيا اكبر، من النحاس مبرّج اصفر، ثمّ انعكفو على إخراج الصفرات، المختلفات الملوّنات المتشبّهات، و لا تسمع الاّ هاك و هات، من دفع المطابخ كالطرطة و الشربات، و البرانية[64] و اللحم الضانى بالمحمّرات و المزعفر و المزعتر و المحشو بالروز، و موني على الدربوز، و الشابّة المغبونة[65] و المقلّى و كباب، و فجل و زيتون بالحساب، و شلايط منوّعة و محنّشة[66]، و بغارير مصنّعة، و فاكهة و موز، و حبالي و لوز، و قسطل و جوز، والمسمّعات يترددن باصواتهن، مع رنّة اوتارهن و استخبارهن، و المهرقل يسرق اللّمحة إليهن، ومهما سمع منهن، ما يعجبعه كقولهن، يا دعدا الحسن يا ظريف المقلتي الخ الاّ و يسغي اليهن و يبطل الاكل، ثمّ يندفع للمضغ والبلع كالبرذون المهطل، و قد طال امد الانكباب، على اكل اللباب، الى ان بلغ الليل ثلثه رفعت الموايد، وبلغت الفوايد، و عقبوها بالقهوة و المعجونات، و اعطفوا عنها بالاتاي و الحلاوات، وابن عيسى على مطرحه يتبلبل، ولا تسمع الا هريره و زهيره يتخلخل، و على صوت الغنّايين بالاوتارات، و كثر الصياح و الاستخبارات، الى ان قرب الصباح، و ضرب ناقوس الخمسة و صاح، قام ابن عيسى سرعة كالمكلوب، و شحمه كاد يذوب، و اشار لمعلّمة المسمّعات، و كانت ضخمة تماثله

---

[64] البرانية: تجيب اللحم الي بغى حطّه في الطاجين و دير فيه فلفلة كحلا و دهن و شوية بصل و تديره على النار تتقلى مليح مليح و تكب له الما على قدّه و من بعد جب الكابوية و الا البدنجال و تقصصهم على قد الدور و ينقلى في الزيت نزه و زد شوية متاع الكمون و نصيب متاع الثوم تديره في الزيت ينقلى مليح و خلطه في هذاك الطاجين الي فيه اللحم و فرغ هذاك الزيت وين ينقلى الثوم و الكمون في هذاك التاجين و قص عليه شوية متاع النعنع و خل على النار واحد الشوية و السلام.

[65] كيفية الشابة المغبونة : خذ اللحم و قطعه اطراف اغسله و در عليه القرفة و الفلفل الاكحل و الحميصة و مغرف سمن و قطّع عليه نصف بصلة و خذ البدنجال نقّيه و قسّمه ابراج و سدفه على اللحم و قطّع ايضا نصف بصلة فوق البدنجال و صب عليه فنجال خل و صب الماء حتّى يغطي البدنجال و انصب على النار و اتركه يطيب و حين يطيب و يقف على نصفين نصف مرقة و نصف ادام نزله في الارض.

[66] محنشة: يجيب اللوز و يسلق في الماء حامي و يملط له القشرة و يدير في الطاجين متاع الفخار و يحطّه على النار يقلبه شوية و كان و يدرسه و يخلطه مع السكر و يجيب الفارينة و يعجنها و يجيب واحد السني متاع النحاس و يرفد العجين في يده و يحطّ هذاك النحاس على النار و يدير النار تحته الا شوية و يقضب بيده و يعلي يطلق الخيط يعجنه كشغل السفنج يلصق العجين في السني الكل يقلع الورقة خطرة واحدة و يحطها و يعمل عليها اللوز على الطول يدورها كالحنش و يلويها و يعملها في السني ترفد للكوشة.

في الكثافات، و هزّ لها يمناه و قال لها هاه هاه، آلعاقة هاه، ضمنت لك الجنّة، فطارت كالزّقوة المملوة، وسجدت لغير الله سجدة متلوة، ثمّ التفت الى القوم و قال الله الله جزيتم عنّا خير، و ابقوا على خير و دخل بيتا كانت ورا، وسبل على بابها ردا، و طبق القوم يتفرّقون و يتتابعون، حتّى لم يبقى الاّ افراد مرتّبون، فهجمت عليه في البيت بالدخول، فقام فارحا و سلّم عليّ وهو ينهت كالغول، فقلت له بلسان المفاكهة عهدي بك ذيبا مبرودا، فمتى صرت ربّا معبودا، أتضمن الجنّة لفاسقة من الغواني، لو قطع فرجها و علق على باب المدينة لعرفه كل زاني، فتبسّم و قال كل الكباب، و اتركني اهرّ مع الكلاب، ثمّ قلت له اقسم عليك بالذي سخّر لك البدعة و تنحيسها، و طلسك بدنسها و تدليسها، ان تخبرني من أين أتيت، و الى أي مقصد تبيت، فقال لي امّا المقدم، فمن وهران لمستغانم، و منها دفعني القطب الخرّاق، الى فوكة دفعة مهراق، و امّا المقصد فلاولاد تركتهم يتضرّعون، بأكباد من الجوع يتنازعون، فقلت ألا تقوم ها هنا واهل الوطن يرشون إليك، ورأيت ما بذلوا عليك، فنظر اليّ نظرة عفريت، و غزّ أضراسه كأن بينهما حجرة كبريت، و قال سبحان من انساك ما كنت انشدتك، لمّا كنت جالسا ورا زريبتك، و انت معشي بنعاجك، و بقرتك، ممّا قال المنداسي رائيس الشعرا، لمّا راح لبوبيّاضة ببلاد فقرا:

بوبيّاضة و العزّ معاه * خير من منداس و قمحُ

خير ياسر و الذلّ علاه * طرف عيني ما نمتلحُ

عزّ في قفرا نهواه * بالقليل و الهنى نفرحُ

نرتجى مولاي باغناه * حد غيره ما نمطرحُ

ثمّ صفّق يداه و قال لمقدّمه التشييع التشييع، و الله هو الحافظ المنيع، و قام و خرج و خرجنا حوله، و الخديم حامل جرابه و عوينه، الى محل كروسة ابراهيم، الموصل له البا لام ميم، لتبلغه بحمله، بسرعة لمحله، ووقفنا معه الى ان ركب و ذهب، و تركني بدموع متسجعة تنسكب، لما هيج لي من الحنين للوطن، و ملاقات الاحبة في العطن، فالله يطلق السراح، لما فيه الاصلاح، و هو الموفق للفلاح و النجاح.

حكاية رسالة الأبرار

حكاية رسالة الأبرار

قال محمد قبيح الفعل * مرتجي العفو من الجليل

منظما لحكاية قد أتت * غريبة أريبة استوعبت

تاريخها سادس يوم من صفر * يوم خميس حقيقي منجبر

و نصها من الشكل القديم * لمن أراد البسط و الترنيم

فيها من الأخبر ما يستحسن * لسمع من أراد ما يقترن

سميتها رسالة الأبرار * ما وقع لهما بالأسحار

من الله سبحانه السوال * يلهمنا لصالح الأعمال

فصل ما جآء في تحواس الليل

لما جنى الليل علينا و غشى * قد طلبنا العشا لدار الأساسي

فأكلنا من طيبة النعماء * وشربنا من هنى الأمراء

و خرجنا بسرعة مفرة * قاصدين التحواس في المدينة

وقد كنا في حرقة شديدة * ليس لنا دراهم عديدة

و نحن في طلب الإله الباري * مضرعين لكشف الأفقاري

فهبطنا البلد للولهاصي * مقتصدين السلف بالأنصاصي

فأجاب الله لنا المراد * وأخذنا دراهم عداد
و طلعنا في فرحة مسرة * في بسطة و ضحكة و لعبة

من يمين لشمال لما يلي * من قهوة للشربة للمثالي
وشربنا من طيب ماء جامد * بعكس من حليب العناقد
لرفيقي الأريب إني قلت * نسيت ربك يأخي خلت
أجابني لا رب لي قد قال لي * ان عندي دراهم مكللي
فعصفت بنا ريح الغرام * إلى دار ڤنونة الخرام

وجدناها مصفرة ملوجة * و معها حمراة منورة
و منهما إلى ربّاحي الماحي * قد نام لا في قربه أرباحي
و منه قد قطعنا للفيافي * طوبا و حجرا و مجاري السرافي
وماء نتين فايض كلية * لا يخفى عنك المدينة الجديدة

فصل ما جاء في براز بغيلة

على باب الدار نقرت نقرة * خفيفة جيدة مسموعة

فنزل الخديم بالسراج * ليفتح الباب بالانتهاج
ففتح الباب و قال ادخلا * سهلا بكم و مرحبا وأهلا
من خلفنا ضرب وثق الباب * بمفتاح الهند بلا ارتياب

فطلعنا الدروج درجا درجا * و دخلنا البيت بضوء سرجا
ظلمت نفسي سايل الأخبار * يا هل هنا علوة في الدار

أجابني بأقبح الكلام * هل تعلن أنني ش...م
هبطت من حيني بلا كلام * مغتضبا مما قال الصرام
تبعني حبيبي المبرور * بحشمه في وجهه المنور
فوقفنا للحال في السقيف * منتظرين الكليب الأليف
حتى علت من بيننا مخصمة * و سمع الكل هناك لمة

فخرجت جماعة الفساق * يرقبوا كلا بطاق راق
أتي لنا ابن وارد مجرد * كعروس ليلته منفرد
بإثره قصير ملثم * كسايق الإبل في الصحن اللايم
لما رأينا مكره قد ولع * وأبى فتح الباب للطمع
أحمقت وصدمت ضرب الباب * القت بها الواحه خراب

جعلت فيه ثقبة كالطاق * كثقبة الخيان في الأطباق
لما رأوا من اشتداد بأسنا * أتى لنا بسرعة يفتح لنا
أتت لنا بغيلة مكركرة * كزقوة مملوة مبلبلة

بكت و صاحت و قالت يا سيساني * أعجل ترى ما فسدا بالعاني
دخل و لم يلتفت أصلا أبدا * وصمت و لم ينطق نطقا أمدا

فانطلقنا بكربة عظيمة * ملامة في بعضنا كظيمة
لجامع معمرة ابن رابح * و نسأل الإله أن يسامح
بتنا فيها مكوشين مكمشين * ككافين مكسرين معرقين
و في الصباح بكرة افترقنا * إلى المواضع لنا و امتثلنا
فسئل من الله النجات * بمنه و كرمه الانعات

و أن يتوب علينا بتوبة * صديقة صفية مسرورة
نحن و إلى جميع الزقايط * من طلباء مثلنا و لأَيط
فهاده حكاية قد كملت * و ما جرى من قبيح الفعل فلت
أبياتها دال و نون بعدها * ثلاثة ثلاث عشرة مايها

شرح الأسرار على رسالة الأبرار

يقول الشيخ العلامة البحر الفهامة
الإمام النحرير محمد قبيح الفعل
أغناه الله أمين

الحمد لله جاعل الكلام أدلة على ما انطوت عليه أوانيها * و موفوز الحكم في احسان أسالفها و مبانيها * و متمم النعم بما وهب من شرح معانيها و نيل مغانيها * و بعد هذا شرح لطيف مقتطف من الألفاظ خطيف و سميته بكتاب شرح الأسرار * على رسالة الأبرار * ما وقع لهما بالأسحار * بعد أن طلبه منى محبي
وحبيبي فأجبت سؤاله بعد الاستخارة فأقول و بالله استعين. قوله :

1- قال محمد قبيح الفعل * مرتجي العفو من الجليل

قال فعل ماض أنظر إلى حقيقته في محله و محمد إسم الناظم فاعل قال و قبيح نعت من صفة النعت إلى المنعوت أي أن محمدا الذي أنظم هذه الحكاية قبيح الفعل و لهاذا نعت به و الفعل القبيح هو مما نهي عنه كالكذب و الزنا و غيرها من المعاصي و مرتجي أي طالب العفو من الإله الجليل * تنكيت * اعترض على المؤلف كيف وأنه لم يبتدي كتابه بالبسملة و التصلية ولم يأت بهما في أول نظمه كساير المؤلفين و المنظمين وأنه يعلم أن في الآثار عنه صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أجدم أو أقطع و المعنى ناقص و قليل البركة فالأمر الذي لا يبدأ بها فهو و أن تم حسا لا يتم معنى * قلت * صحيح والأشكال على المؤلف في ذلك هنا لأن المؤلفين و المنظمين يجعلون البسملة و التصلية ابتدأ في أول الكتب العظام كتأليف الفقه و تأليف النحو و ساير العلوم المحتوية على الفوايد العظام للتبرك بإسم الله العظيم و لما فيهما من الفضل و البركة و العون للمؤلفين على

الأشياء العظام ليتموها ويفيد بها غيرهم و أن المؤلف هنا لم يقصد بنظمه ولا بتأليفه حصول فايدة من الفوايد إنما هو كلام لغوي و لا فايدة لا لسامعه ولا لناظره و في ذلك التنكيت * قولان * فالأول ما ذكر والثاني هو أن نص الحكاية و جميع ما احتوت عليه فهو من الأخبار الردية و الأفعال القبيحة و أن إسم الله جليل القدر عظيم الشأن و لا يمكن أن يقرن إسم الله مع شيء ردي أو قبيح كحكايتنا هذه فهذا محال و لهذا إن المولف لم يات بالبسملة في أول نظمه و لا في أول شرحه أنظر تصريح ذلك في شرح التوضيح للإمام ابن القاسم بن عبد المالك. قوله :

2- منظما لحكاية قد أتت * غريبة أريبة استوعبت

أي أن الناظم المذكور قد نظم هذه الحكاية و أنها قد أتت و وقعت و قوله أريبة هو عطف بيان أو عطف تفسير إلى غريبة كما أن المرأة تقول لأختها حوّاجة لوّاجة أو قولها عريانة ڤريانة وقوله استوعبت أي بانت و وضحت تلك الحكاية و معانيها التي سأذكرها. قوله :

3- تاريخها سادس يوم من صفر * يوم خميس حقيقي منجبر

أي أن الحكاية التي سأذكرها أنها وقعت في يوم الخميس تاريخ ستة من شهر صفر و قوله حقيقي منجبر أي محقق باليوم و منجبر في الشهر المذكور و هو صفر. قوله :

4- و نصها من الشكل القديم * لمن أراد البسط و الترنيم

أي و نص الحكاية التي سأذكرها أن كلامها و جميع ما احتوت عليه من الشكل القديم و الشكل بكسر الشين المثلثة هو الكلام الذي لا يفيد لا قاريه و لا سامعه و احترز المؤلف من الكلام الذي يفيد قاريه و سامعه و القديم هذا تتميم للبيت لأن المنظمين و الشعرآء كانوا إذا اعتذروا في بيت تمموها بما يناسب و لو كان بلا معنى و

قوله لمن أراد البسط و الترنيم قد ذكر أن كلام هذه الحكاية لا يفيد إلا لمن أراد البسط أي الحموقة و إقصار النهار و الترنيم هو التطريب و التغنيم أي لمن أراد أن يتطرب بها و يترنم بأبيات شعرها وأنظر إلى حاشية الشيخ طويل اللحية و الشلاغم أبي زيد الدلايمي المسمية بنزهة الأنفاس * على وقايع الجزايريات بقهوة الياس * عليه لعنة الله بالقياس. قوله :

5- فيها من الأخبار ما يستحسن * لسمع من أراد ما يقترن

الضمير في فيها يعود على الحكاية أي أن الحكاية التي سأذكرها فيها من الأخبار شتى و الأخبار جمع خبر هو الكلام الذي يكون على بعض الوقايع لتحصل فايدة لا تكون عند السامع و قوله ما يستحسن آلخ أي المراد لسمع نص الحكاية ما يقترن أي لمن هو من المقترنين و ما يقترن مأخوذ من الإقتران و الإقتران هو الوصف و المثل تقول العرب فلان قرين فلان أي مثله و على وصفه * تنبيه * أعلم أن الإقتران يكون من ثلاثة أوجه الوجه الأول أن الإنسان يكون صالح الأعمال و الأفعال و الوجه الثاني يكون عكسه أي ظالم الأعمال و الأفعال و الوجه الثالث أن الإنسان يكون ممتزجا بينهما أي صالحا و طالحا و بيان ذلك هو إذا كان الإنسان عالما و كانت أفعاله قبيحة فبالنسبة إلى العلم أنه صالح و بالنسبة إلى الأفعال فهو طالح فقد امتزج بين الإصلاح و الإطلاح و هو الوجه الثالث في اقتران وأنظر إلى تمام ذلك في شرح التوضيح للإمام ابن القاسم بن عبد المالك. قوله :

6- سميتها رسالة الأبرار * ما وقع لهما بالأسحار

يعني أن المؤلف سمى حكايته برسالة الأبرار و الأبرار جمع بار و البر هو المدح و التفضيل و المراد هنا بالأبرار المؤلف رضي الله عن غيره و الإمام ابن القاسم شارح التوضيح * تنكيت * قلت أن المؤلف أوصف نفسه في أول نظمه بأنه قبيح الفعل هو و رفيقه منه كيف و هنا ينتسب إلى الأبرار * نعم * ان المؤلف قبيح الفعل هو و رفيقه و ان نسبة البر لهما فإنها لأصلهما و أبائهما و أجدادهما فإنهم من الأفضال البارين و لا اعتراض في ذلك على المؤلف قاله في التوضيح و أما قوله ما وقع لهما بالأسحار يعني ما وقع للمؤلف و رفيقه بنصف الليل و هو الأسحار و هو وقت العبادة و الاستغفار و قال تعالى بالأسحار هم يستغفرون الخ فالميم في قوله ما وقع خبرية و الألف في لهما يدل على التثنية و هما المؤلف و الإمام رفيقه. قوله :

7- من الله سبحانه السؤال * يلهمنا لصالح الأعمال

هذا دعاء من المؤلف له و لصاحبه و لجميع المسلمين إلى الله سبحانه و تعالى أي أسأل وأطلب من الله العفو مما نحن فيه من المعاصي و غيرها و أن يلهمنا أي يوفقنا لصالح الأعمال أي الأفعال و الأفعال الصالحة هي كالصلاة و ترك المعاصي و غير ذلك فهاذه فاتحة الحكاية قد انتهت بحمد الله. قوله :

* فصل ما جاء في تحواس الليل *

هذه ترجمة ذكرها المؤلف لما انتهى الكلام على الفاتحة وما يتعلق بها شرع هنا يتكلم على الحكاية و أفصل بهذه الترجمة بين الفاتحة و الحكاية و أما قوله فصل هو الجزم و القطع تقول العرب جزمت العود أي قطعته كما تقول أيضا فلان تفاصل مع فلان أي تقاطعا و تساويا بقطع النظر بحيث لا يقوم أحد على أحد بطلب بعد ذلك * تنبيه *

ففصل هنا نكرة غير أنه يجوز الابتدا به لأنه من أسماء التراجم و أسماء الكتب و هي من حيز علم الجنس فصح الإبتدا به. قوله:

8- لما جنى الليل علينا و غشى * قد طلبنا العشا لدار الأساسي

أي لما أظلم الليل و أسودت جوانبه علينا و على جميع الأقطار فالتثنية في قوله علينا تدل على المؤلف و الإمام صاحبه و قوله جنى الليل أي وقت الإصفرار و جنى بمعنى قرب أي قرب الليل و قوله غشى هو وقت مغيب الشفق و هو وقت صلاة العشا و وقت إرخاء سدول الليل و وقت اسوداد جوانبه و معنى ذلك قول الشاعر حيث قال لقد طال هذا الليل و اسود جانبه * و ليس إلى جنبي آلخ يلاعبه كقول الأخر في معنى إرخاء سدوله حيث قال و ليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتل و لله در القايلين قوله وقد طلبنا آلخ فقد هنا حرف تحقيق و طلبنا أي قصدنا و عاودنا لدار الأساس فاللام هنا بمعنى إلى أي إلى دار الأساس و الأساس هو الأصل و الحصن و لا يخفاك أن لا أصل ولا حصن كدار الأَباء و الأجداد و المراد أن المؤلف قصد هو و صاحبه دار الأصل وهي دار الأب ليتعشيا. قوله :

9- فأكلنا من طيبة النعماء * و شربنا من هنى الأمراء

أي أكلنا من جميع أنواع الطيب من الأكل و شربنا من جميع أنواع الشرب الطيب كالماء البارد و الأتاي و أما قوله من هنى أي أكلنا في حالة الهناء و البسط و قوله الأمراء فهو عطف تفسير أو عطف بيان إلى الهناء كما قال تعالى هنئا مرئا أو قول المرأة حوّاجة لوّاجة آلخ. قوله :

10– و خرجنا بسرعة مفرة * قاصدين التحواس في المدينة

أي لما خلصنا العشاء خرجنا من الدار مسروعين كالمفرين أي كالهاربين حياء من سكان المسكن و في خروجنا قاصدين التحواس في المدينة و المدينة هي بلد وهران و التحواس هو المشي على قاعدة الهيل و الميل في الزنق من غير قضاء حاجة. قوله :

11– وقد كنا في حرقة شديدة * ليس لنا دراهم عديدة

أي الحالة التي خرجنا فيها طالبين التحواس لم يكن عندنا لا دراهم معدودة و لا غيرها من جنس الفلس. قوله :

12– و نحن في طلب الإله الباري * مضرعين لكشف الإفقاري

أي في تلك الحالة كنا طالبين من الإله الباري و مضرعين له ليكشف عنا ما كنا فيه من الفقر و الاحتياج و أن يفتح علينا ببعض الدنانير أو الدراهم. قوله :

13– فهبطنا البلد للولهاصي * مقتصدين السلف بالانساسي

أي في ذلك الوقت كنا في المدينة الجديدة ثم هبطنا للبلد الكبيرة و هي وهران نحو الولهاصي و الولهاصي إسم رجل يقال له محمد الولهاصي و هو ملقب ببلد إسمها ولهاصة كاينة في الغرب وحرفته قهواجي بقرب بلاصة النخل مقتصدين من يسلف لنا بعض الدنانير بالانساسي أي بالوجه و الميثاق ولا غير. قوله :

14– فأجاب الله لنا المراد * وأخذنا دراهم عداد

15- و انطلقنا في فرحة مسرة * في بسطة و ضحكة ولعبة

أي هذا جواب لما تقدم أن المؤلف سبق له أنه كان هو و صاحبه في حرقة شديدة و كانا مضرعين للإله الباري لكشف إفقارهما فأجاب الله لهما أي قبل دعاءهما و فتح الله لهما فوجدا بعض الدنانير سلفاها فطلعا حينئذ متباشرين بإدراك المرام حالة كونهما في ضحك و لعب وبسط. قوله:

16- من يمين لشمال لما يلي * من قهوة للشربة للمثللي

أي طلعنا مع أشرف الزنق وأحسنها هايلين متمايلين كالمركانطية تارة لجهة اليمين و تارة لجهة الشمال لما يلي أي كالديار المعروفة للدخول كالنوتيل و بيوت الفسق و غيرها من القهاوي المعروفة عند العامة المعدة لجمع السفاء و للشربة بتشديد الشين المثلثة و فتحها و سكون الراء وهي المعروفة عند العامة بالكانتينة أي المحل المعد لجمع شاربي الخمر و أنواعه. قوله :

17- و شربنا من طيب ماء جامد * بعكس من حليب العناقد

أي أن المؤلف و صاحبه شربا من نوع الشرب ماء جامد طيب ممتزج بشيء عذب كالقارص المعبر عنه بالليمون و لبن اللوز المعبر عنه بالأرجة و غيرها مما يحل شرعا عكس من حليب العناقد فهو الخمر المعصور من عناقد العنب الأحمر و الأبيض. قوله :

18- لرفيقي الأريب إني قلت * نسيت ربك يأخي خلت

19- أجابني لا رب لي قد قال لي * إن عندي دراهم مكللي

أي لما فتح الله لمها الباب ووجدا بعض الدراهم سلفاها فصارا في لهو ولعب و نسيا ما تقدم لهما من الضيقة فحينئذ تذكر المؤلف ما مر لهما و قال لصاحبه يا خشيت أنك نسيت ربك لأني أراك غايصا في اللعب و اللهو ولا تذكر ما كنت فيه من الضيقة و الرغبة إلى الله تعالى فقال له الإمام إني كنت أطلب و أتضرع إلى الله لما كنت في حال الشدة و الضيق ولما حصل المرغوب فإني مشتغل بما كنت أطلبه و الآن لا غفلة عنه ولا حاجة لي بطلب و هو قوله لا رب لي أنظر التوضيح. قوله:

20- فعصفت بنا ريح الغرام * إلى دار قثونة الخرام

أي عصفت بنا ريح الهوى أي العشق لما تحبه النفس و الشيطان لعنه الله حارصا عليها في إشعال النيران فقصدنا دار قثونة فقثونة إسم يهودية حرفتها ق....ة فهدمت وانخرمت و هو قول المؤلف الخرام أي انخرم حالها و فسد و العرب تقول في الشي إذا فسد خرم أي فسد حاله. قوله:

21- وجدناها مصفرة ملوجه * و معها حمراة منورة

فالضمير في وجدناها يعود على قثونة أي لما دخلنا عليها وجدناها مصفرة فمصفرة صفة لها و ملوجة حال لها أي من صفتها مصفرة ومن حالتها ملوّجة و اللوج هو الهم و التخمم قوله و معها آلخ فالواو للعطف لما قبله و الضمير في قوله معها يعود أيضا على قثونة أي لما دخلنا عليها وجدناها على الحالة المذكورة ووجدنا معها يهودية أخرى صغيرة لابسة من الثياب الأحمر فقوله منورة فلكونها لابسة الأحمر * تنكيت * أعترض على المؤلف كيف و أن اليهودية الخبيثة قبيحة الفعل أوصفها بالنور و قال منورة و أن النور لا يوصف به الا من كان صالح الأعمال و الأفعال وكان طاهر الجسم * نعم * بلا إشكال على المؤلف هنا فإنه أوصفها بالنور من وجه اللغة لا من

وجه المعنى و أن اليهودية كانت صغيرة و العرب تقول في كل من كان صغيرا فهو منور مثل الأعشاب لان الأعشاب و النباتات من حيث هي إذا كانت صغيرة فإنها تنور ثم لما جاز فصلها يبست واحترقت ولا يبقى لها نوار كذلك أن الإنسان من حيث هو إذا كان صغيرا يكون منورا ثم إذا كبر و أصلحت أعماله فإنه يبقى على نوره و إذا فسدت أعماله و أفعاله فإنه يحترق أي يبخس و يخبث و لا يبقى له نور فهاذا معنى كلام المؤلف رضي الله عن غيره أنظر في شرح التوضيح للإمام ابن القاسم بن عبد المالك. قوله :

22- و منهما إلى ربّاحي الماحي * قد نام لا في قربه أرباحي

إن ضمير التثنية هنا يعود على قنونة و اليهودية التي معها فإن المؤلف و صاحبه لما خرجا من عندهما قصدا دار الماحي و الماحي إسم رجل ش...م ساكن في قبلة المدينة الجديدة ولما وصلوه وجدوه قد نام و قوله لا في قربه أربحي يعني الضمير في قوله قربه يعود على الماحي المذكور أن لا في من يعرفه ولا في من يقربه أرباح أي إصلاح ولا فايدة. قوله :

23- و منه قد قطعنا للفيافي * طوبا و حجرا و مجاري السرافي

أي و من دار الماحى المذكور قطعنا أي جزنا وطية السوق الكاينة بوسط المدينة الجديدة و أن العرب عندهم كل ما كان موطيا و بعيدا يقال له فيافي و قوله طوبا آلخ أي في الوطية المذكورة طوب وحجر و أما مجاري السرافي فهي مساريح الماء المركد المنتن مسرفة له إلى محل بعيد. قوله:

24- و ماء نتين فايض كلية * لا يخفى عنك المدينة الجديدة

أي أن الماء المنتن أي الخانز الذي يكون من غسيل الصابون و نحوه يرمونه سكان الديار ليلا على ظهور الزنق فيفيض كليا كما لا يخفى عنك المدينة الجديدة فأفهم أيها الطالب اللبيب الناظر إلى هذه الحكاية الغريبة أنار الله بصيرتك و امدك لما تحب و ترضى. قوله :

* فصل ما جاء في بزار بغيلة *

الفصل و الترجمة تقدم الكلام على شرحهما و بيانهما في أول الكتاب ثم أن المؤلف رضي الله عن غيره لما أنهى الكلام على نص الحكاية و جميع ما احتوت عليه مبالغها شرع هنا يتكلم في ما وقع للمؤلف و لصاحبه في بزار بغيلة و بغيلة إسم مرأة يهودية ش...ة مالكة البزار و البزار هو النوتيل أي الدار المحتوية على البيوت المفرشة المعدة للمسافرين و لمن أراد الفسق مع النساء الع...ت فهذا بيانه. قوله :

25- على باب الدار نقرت نقرة * خفيفة جيدة مسموعة

26- فنزل الخديم بالسراج * ليفتح الباب بالانتهاج

27- ففتح الباب و قال ادخلا * سهلا بكم و مرحبا واهلا

28- من خلفنا ضرب وثق الباب * بمفتاح الهند بلا ارتياب

29- فطلعنا الدروج درجا درجا * و دخلنا البيت بضوء سرجا

أي على باب الدار ضربت ضربة خفيفة سمعها صاحب الدار فنزل خديم النوتيل و هو صاحب اليهودية المذكورة إسمه سيساني بالسراج أي بشمعة مشعولة في يده ليفتح الباب بالخفة أي العجلة ففتح الباب و قال لنا ادخلا مرحبا بكم أهلا و سهلا فدخلنا ثم

من خلفنا ضرب وثق الباب أي بلعه بمفتاح الهند و هو الذكير بلا ارتياب أي بلا غفلة ولا غلط ثم طلعنا الدروج درجا درجا إلى أعلا القصر و دخلنا البيت بضوء سراج أي مشعول و واقد. قوله :

30- ظلمت نفسي سايل الأخبار * يا هل هنا علوة في الدار

31- أجابني بأقبح الكلام * هل تعلمن أنني ش...م

32- هبطت من حينى بلا كلام * مغتضبا مما قال الصرام

الضمير في ظلمت نفسي يعود على المؤلف يعني أن المؤلف قال ظلمت نفسي لما سألت من الكليب اليهودي لعنه الله و هو سيساني المذكور و قلت له هل هنا علوة في الدار و علوة إسم إمرأة يهودية ع...ة أي ق...ة فأجابني آلخ هذا جواب السؤال أي لما أن المؤلف أغناه الله سأل اليهودي المذكور فأجابه و الضمير في قوله أجابني يعود على المؤلف و في جوابه قال لي هل تعلمن أنني ش...م فالنون في قوله تعلمن نون التوكيد الثقيلة و قوله ش...م ش...م هو رجل الوصال الذي يقود النساء للرجال على وجه السفاهة فلما سمعت ذلك هبطت من أعلا القصر من حيني أي من وقتي بلا كلام و أنا مغتضب أي حالة كوني زعفانا مما قال لي الصرّام و هو الكليب اليهودي المذكور و الصرّام لغة ش...م وقد تقدم توضيحه. قوله :

33- تبعني حبيبي المبرور * بحشمه في وجهه المنور

أي لحقني حبيبي المبرور و هو السيد الإمام أبو القاسم عبد المالك و قوله بحشمه آلخ الضمير يعود على الإمام المذكور أي كان محشوما مما وقع لهما لأنه ليس من أهل هذا الفن المنحوس و إنما توقع له بالتبعية للمؤلف أغناهما الله أمين. قوله :

34- فوقفنا للحال في السقيف * منتظرين الكليب الأليف

فضمير التثنية في قوله و قفنا يعود إلى المؤلف و صاحبه في تلك الحالة في السقيف و هو صحن الدار ومنتظرين أي مترجيين ومرعيين لليهودي المبخوس أن يفتح لنا الباب و أما قوله الكليب الأليف مثل اليهودي لعنه الله كالكليب الأليف لأنه مؤالف لجميع المسافرين و جميع من جاء إلى الدار للبيات فإنه يسلم عليه و يدخله ولو بلا عرف سبق له معه فلهذا حصلت نسبته كالكلب المؤالف ثم إننا على تلك الحالة مترجيين إلى اليهودي المبخوس ليفتح لنا الباب لننصرف في حالنا فقال لنا الكليب اليهودي لا نفتح لكم إلا إذا خلصتماني ريالا حق البيت و قلت له لا نعطيك شيء أنزل افتح لنا الباب و إلا تراني نكسر لك الباب فأبى أن يفتح لنا الباب. قوله :

35- حتى علت من بيننا مخاصمة * و سمع الكل هناك لمّة

أي لما انتظرنا الكليب المذكور وأبى أن يفتح لنا الباب صرنا معه في مخاصمة حتى سمع كل من كان هناك لمة أي جماعة واللمة بفتح اللام و تشديد الميم مع فتحها هي الجماعة من الرجال و النساء. قوله :

36- فخرجت جماعة الفسّاق * يرقبوا كلا بطاق راق

أي لما صرنا في المخاصمة علا الحس بيننا حتى سمع كل من كان هناك من آهل الفساق بايتا فخرجوا من مواضعهم و صاروا يرقبون علينا من طاق راق و الطاق الرايق هو الدربوز المجعول أي المركب على شرايف القصور توضيحهم في حاشية الشيخ طويل اللحية و الشلاغم أبي زيد الدلايمي المسماة بنزهة الأنفاس * على وقايع الجزايريات بقهوة الياس * عليه لعنة الله بالقياس * قوله :

37- أتى لنا ابن وارد مجرد * كعروس ليلته منفرد

38- بإثره قصير ملثم * كسايق الإبل في الصحن اللايم

أي لما صرنا مع اليهودي المذكور في المخاصمة و خرجت جماعة الفسّاق أتى لنا من جملتهم ابن وارد وهو معروف بالمدينة الجديدة و قوله مجرد آلخ أي حاله كونه مجردا من اللّباس و قد كان في ذلك الوقت سوى بقمجة لابسها و عراقية على رأسه و قوله كعروس آلخ فالكاف هنا للتشبيه والعروس من نعت الصفة للموصوف و قوله ليلته منفرد أي في ليلته الأولى لأن في الليلة الأولى يكون مجردا و لهذا وصف بذلك الأنعات و قوله بإثره آلخ أي و تبعه رجل قصير بالصغير و هو بتشديد اليآء مع كسرها و هو مثله كمثل سايق الإبل في الصحرآء الخالية و هو قول المؤلف الصحن اللايم فهو الذي ليس فيه ماء ولا عمارة إلا الفيافي و الأقفار. قوله :

39- لما رأينا مكره قد ولع * و أبى لفتح الباب للطمع

40- حمقت و صدمت ضرب الباب * القت بها الوحه خراب

41- جعلت فيه ثقبة كالطاق * كثقبة الخيان في الأطباق

أي لما رأينا مكره أي شره قد ولع أي عول و تحقق بأن لا يفتح لنا الباب إلا إذا خلصناه واطمع بأن نخلصه ونطرح له أنفنا و همتنا و نرغبه و نحشمه ليتفخر من بعد فحينئذ قلت نحن لسنا من أهل القلة و إنما نحن من أهل العز و الكرم فعند ذلك حمقت أي زعمت و صدمت أي ضربت بخزرانتي أي بهراوتي ضربة صحيحة على الباب بحيث كسرت أعواد الباب أي ألواحه و القت بتلك الضربة ألواح الباب منخربة أي مكسرة و منهدمة و الخرب هو الهدم و الكسر حتى جعلت فيه ثقبة كالطاق أي كثقبة الطاق و الطاق هي الفرجة الخاصة في المسكن لاستعانة الضوء في المسكن المظلم أو

استعانته للهواء في الموضع الحر في زمان الصيف أو كثقبة الخيّان في الأطباق أي في الحيطان أنظر إلى تمام ذلك في التوضيح للإمام ابن عبد المالك. قوله:

42- لما رأوا من اشتداد بأسنا * أتى لنا بسرعة يفتح لنا

43- أتت لنا بغيلة مكركرة * كزقوة مملوءة مبلبلة

أي لما رأونا قد عولنا أن نجعل لهم السكاندال في دراهم و السكاندال لغة إفرنجية و هي القباحة و الزازة و قوله اشتداد مأخوذ من الشد وهو الجد و القوة وقوله بأسنا أي شرنا و قباحتنا أتى لنا أحد منهم وبيده مفتاح الباب ليفتح لنا بعجلة و خفة و هو قوله أتى لنا بسرعة يفتح لنا ثم أن في خلفه أي من وراه بغيلة مكركرة فبغيلة إسم اليهودية المالكة للدار و مكركرة أي مهرهرة * مخرخرة * مشرشرة * مقرقرة * مفرفرة * مبربرة * مستنفرة * مستحنفرة * و معنى هذه الألفاظ تدل على و صفها و كثرة سمنها وامتلائها باللحمة و أن المؤلف أغناه الله قد مثلها و أوصفها بقوله كزقوة آلخ فالكاف هنا للتشبيه و زقوة من اصالة الصفة للموصوف و الزقوة هي التي يخيطها الطمّار من ظفائر الحلفة و شرطان الدوم و بالغة النهاية في الكبر ليجعلها في قربي مطمرة و تلك الزقوة تكون مملوءة بالحب أي بالشعير أو بالقمح و أما قوله مبلبلة أي الشي يكون مكورا بحيث لم يعلم له أوّل و لا أخر و لا فم و لا قعر و أن اليهودية المذكورة بلغت في السمن حتى صارت لا يعلم لها راس ولا رجل. قوله :

44- بكت و صاحت و قالت يا سيساني * أعجل ترى ما فسدا بالعاني

45- دخل و لم يلتفت أصلا أبدا * و صمت و لم ينطق نطقا أمدا

أي لما أتت اليهودية المذكورة مبلبلة على هيئتها ووجدت الباب قد تكسر وطارت ألواحه كما مرّ في هذا الشرح بكت أي ناحت و صاحت أي عيّطت و في عياطها تقول يا سيساني و سيساني إسم الكليب اليهودي ش...م المذكور لعنه الله و تقول أعجل بالقدوم إلى الباب لتنظر ما فسدا فيه الرجلان اللذان أبيت أن تفتح لهما الباب فهما كسراه و أما اليهودي لعنه الله فقد دخل للبيت و لم يرد جوابا و لم يفه فاه لما رأى شدة بأس المؤلف و ما صدر منه و خشى على نفسه و لم يهبط من الأعلى و لو هبط لكان المؤلف أن يكسر رأسه كبابه و أنه علم أن لا طاقة له على شدة بأسنا فهو قول المؤلف أغناه الله صمت ولم ينطق نطقا أمدا فقوله صمت أي انخزن في بيته و سكت ولم ينطق نطقا أمدا أي حالا في وقت العياط و الحس. قوله :

46- فانطلقنا بكربة عظيمة * ملامة في بعضنا كظيمة

47- لجامع معمرة ابن رابح * و نسأل الإله أن يسامح

فضمير التثنية هنا يدل على المؤلف و الإمام ابن القاسم شارح التوضيح أغناهما الله أمين أنهما لما انفتح الباب و خرجا بكربة عظيمة أي زعافا شديدا مما وقع لهما في تلك الليلة و مثلامين في بعضهما منكظمين و الكظم هو الغيظ و انقباض النفس و صارا في الليل قاصدين المبات مع الطلباء الساكنين بجامع معمرة ابن رابح فأما جامع معمرة ابن رابح فهي حانوت كانت للتجارة بالمدينة الجديدة بوهران مقابلة دار الفسق المعلم بنومروا عشرة هكذا 10 فأفرغها ربها أي مالكها و هو السيد محمد ولد رابح السراج المعروف عند الناس ببلد وهران من التجارة و حسبها على الطلبآء ليقراوا فيها كلام الله العزيز قاصدا بذلك ثواب الله الجزيل و الله لا يضيع أجر المحسنين و أما قوله و نسأل الإله أن يسامح هذا دعاء من المؤلف إلى الله أنهما لما دخلا المعمرة المذكورة وندما

على ما فعلا من قبيح الفعل صارا يدعيان إلى الله بالتضرع و النهجة أن يسامحهما أي يغفر لهما و يتوب عليهما فهذا معنى كلام المؤلف أنظر التوضيح للإمام ابن القاسم. قوله :

48- بتنا فيها مكوشين مكمشين * ككافين مكسرين معرقين

49- و في الصباح بكرة افترقنا * إلى المواضع لنا و امتثلنا

أي لما دخلنا المعمرة في نصف الليل في غاية الظلمة و الطلباء كل أحد نايما في موضعه و لم نجد اتساعا في المعمرة فبتنا عند الباب فوق السبابيط مكمشين أي ملمومين و رأسنا بين ركايبنا ومكوشين مما أصابنا من الكظم و البرد و قوله ككافين مكسورين معرقين فالكاف للتشبيه ومكسورين معرقين من إصالة الصفة إلى الموصوف أي بتنا أنا و حبيبى الإمام المذكور مكسورين معرفين كهيئة الكاف المكسور المعرق و الكاف المكسور المعرق هيئته هكذا "كى" ثم في الصباح بكرة على الساعة الخامسة انصرفت أنا و حبيبي المذكور إلى لاقار المعد للماشية النار وانصرفت في حالي إلى أهلي و انصرف حبيبي في حاله إلى أهله و هو قوله إلى المواضع لنا وامتثلنا أي علمنا بأننا ظالمين أنفسنا و تحققنا بأننا في الضلال في ما وقع منا من رديء الأفعال و نحن في غاية الندامة. قوله :

50- فسئل من الله النجات * بمنه وكرمه الأنعات

51- و أن يتوب علينا بتوبة * صديقة صفية مسرورة

52- نحن و إلى جميع الزقايط * من طلباء مثلنا و لايط

أي لما أن المؤلف تحقق بأنه هو ظالم الأفعال القبيحة فاسترجع حينئد من دنبه و قبيح فعله واستغفر و عفر و نفر * قبل أكله الطعام المزعفر * و طلب من الله النجات

المشرف من مثل ما وقع به و ذلك بمن الله وكرمه الانعات و أن الله تعالى هو المنعوت بالفضل و الكرم و المن ولا منعوت سواه جلال ذكر و علا قدرة أن يتوب علينا بتوبة ذات صدق صفية أي صفية الاكدار والسيئات مسرورة أي منورة مبروكة و أما قوله نحن آلخ فنحن هنا ضمير يعود إلى الجمع لا للمعظم نفسه أي للمؤلف و لحبيبه شارح التوضيح وجميع الزقايط أي الفساق من الطلباء أمثالهما لا غير ولايط أي كل من كان لايطا من الطلبا فهو داخل لدعاء لا غير و معنى لايط مأخوذ من اللواط و هو الذي بسببه مكر الله بقوم لوط و فعل أردى وأقبح و لا يمكن ذكره في هذا المحل أنظر حقيقيته في شرح الاغراري * للخليل ابن البخاري* أو أسأل خليفته الهميم * السيد محمد بن إبراهيم * ففى قهوته من ذلك أمر عميم * أما قوله :

53- فهاده حكاية قد كملت * وما جرى من قبيح الفعل فلت

أي فهذا أخر مقصود كلام المؤلف أغناه الله و رضي عن غيره على الحكاية المذكورة المسمية برسالة الابرار * ما وقع لهما بالأسحار * قد كملت و انتهت بحسن الله و توفيقه الجميل و كل ما جرى من قبيح الفعل فإنه فلت أي أنصرف و جاز لما ندما على إتيانه و من الله أسأل التفريج والتوفيق و هو الموفق للصواب و إلى الله المرجع و المآب * إعلام و تنبيه * إلى جميع الطلبا الأبرار المنتخبين من الأخيار * أن المؤلف لهذه الحكاية خديم خديمكم * طالب الرضى منكم * فها هو و حكايته و شرحه بين يديكم و أن الأجواد و الأبرار إذا ضحكوا جادوا و يطلب عليكم أن تجودوا عليه بالدعاء لله أن يفرج عليه و يجعل له في الأمور تيسرا له و لجميع المسلمين وما قصد بهذه الحكاية الا البسط لكم و التطرب لأنفسكم فبالله عليك يا من نظرت إلى هذه الحكاية أن تدعى لنا بدعوة صالحة و الله الموفق لعباده بحمده و كرامه. قوله :

54- أبياتها دال و نون بعدها * ثلاثة ثلاث عشرة مايها

أي أن إعداد أبيات هذه الحكاية هي دال و نون فالدال بأربعة و النون بخمسين فتجمع أربعة وخمسين بيتا وأما تاريخ يومها و شهرها قد تقدم الكلام عليهما في أوّل الشرح ثم أن تاريخ سنتها هو قوله ثلاثة آلخ أي أن هذه الحكاية مؤرخة بالسنة الثالثة بعد الثلاثمائة و الآلف أي ١٣٠٣ عرفنا الله خيره و وقانا شره بمنه وكرامه أمي و الحمد لله رب العالمين أمين.

هذا حكم المكاس

في قضية سي محمد بن العربي و سي الحبيب بن عيسى

أغناهما الله أمين

الحمد لله وحده * الحكم الجمهورى الفرنساوي بإذن الأمة الفرنساوية بالمحكمة الشرعية بجامع ابن عوالي ذي القسم الثالث من العمالة الظليمة لدى قاضيها المتولى فصل خصوماتها و هو السيد محمد قبيح الفعل الواضع طابعه وخط يده أسفله صانه الله بصونه و عدوله أمدهم الله بعونه أمين حضر لدينا الشاب المكرم السيد محمد بن العربي القاطن بدوار العرابية وادعى على مقابله و هو الأشيب المبرضل السيد الحبيب بن عيسى القاطن بدوار أولاد ابن عوالي فمن دعوى الأول السيد محمد المذكور أنه قال أتاني السيد الحبيب بن عيسى المسطور و قال لي يا سيدي محمد أعلم و إني رأيت أن الرزق قد انقطع مع هذه البلد فأردت أن أشاورك لترشدني بأي رأى سديد أدفع به الفقر عني قال فحين سمع منه ذلك اغتاظ وأجابه بسوء جواب مكافة لجهله و لنفيه لقدرة الله تعالى وأنه يعلم أن الرازق هو الله في كل بلد و قال له أني أرشدك إلى حرفة ببلد تونس فقال له المبرضل المزبور جزيت عني خيرا ما هي فقال له كن مكّاسا بتلك البلاد تصير من كبراء الهراد و تعطى المال بالازدياد و تلبس الملابس الجياد فحينئذ فيق السيد الحبيب المذكور و زهزم رأسه وخوّض ذهنه وقرقر كرشه ثم زقلم صدره و قال له لست من أهل هذه الحرفة الخبيثة و لست بأهل لها ونطقك لنا بها سوء قبح الله سعيها و سعي فاعلها فقال له مقابله نعم أنها حرفتك و لي عليك شهود يعلمون سيرتك بها فلما سمع الشيخ القاضي كلام الفريقين و أوعاه و وجد كلا منهما أساء أخاه نظر في تلك الدعوة نظرا شافيا و بحث فيها بحثا كليا واطلع على قول الشيخ خليل في باب القضاء وأمر بالصلح ذوي الفضل و الرحم أمرهما للصلح و قطع النزاع بينهما ثم أنه أبرم و حكم على كل منهما بعقوبة جزاءا وتأديبا لهما

فالعقوبة التي ترتبت على السيد محمد المذكور أنه يجمع الطلباء كلهم بالمحكمة المذكورة و يفرش لهم الفراش الذي اشتراه من تيارت و يطعمهم بما يطبخ يوم العيد وذلك لأساءته على مقابله وهو المبرضل المذكور و أما الأشيب المسطور أنه صدر منه كلام لا يتكلمون به أرباب العقول و لا ينطقون به قط و ذلك أنه خشي قطعان رزق كل أحد في هذه البلد و أراد الفرار لبلاد غيرها وأنه يعلم أن الملك كلّه لله فبسبب ذلك ترتبت عليه عقوبة و بيانها أنه يدبح شاة من خيار ضانه للطلباء و يُطعمهم ثم يطرح بالأرض كهايشة البحر و يؤمروا الطلباء بالصعود على ظهره وعلى بطنه أي كرشه دفعة واحدة و هذه هيئة الخرّوبة المعلومة عند الطلباء جزاء لما نطق به حكما تاما لازما منبرما شهد به و أمضاه تم لديه سببه و أوجب العمل بمقتضاه الحكم الفرنساوي الجمهوري أوصى و أمر جميع الولاة و العمال المتصرفين في خدمة الدولة بقيامهم و وقوفهم على تنفيذ هذا الحكم بتاريخ أوّل شوال عام ١٣٠٣ الموافق ٣ جولييت سنة ١٨٨٦ كتبه الباش عدل الأوّل سي بلاحة بالعربي و الباش عدل الثاني سي أبو القاسم بن اعمر و شيخ المجلس سي احمد بن الشيخ الواضع خط يده أسفل المكتوب مع خط يد القاضي أيدهما الله أمين. بلاحة بالعربي و أبو القاسم بن اعمر واحمد بن محمد بن الهاشمي بالشيخ لطف لله به أمين الحمد الله وحده و بصحة ما سطر وضع الشيخ القاضي خط يده عبده محمد قبيح الفعل أغناه الله أمين.

فهرست الكتاب